الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

عقيدة المسيحين في المسيح

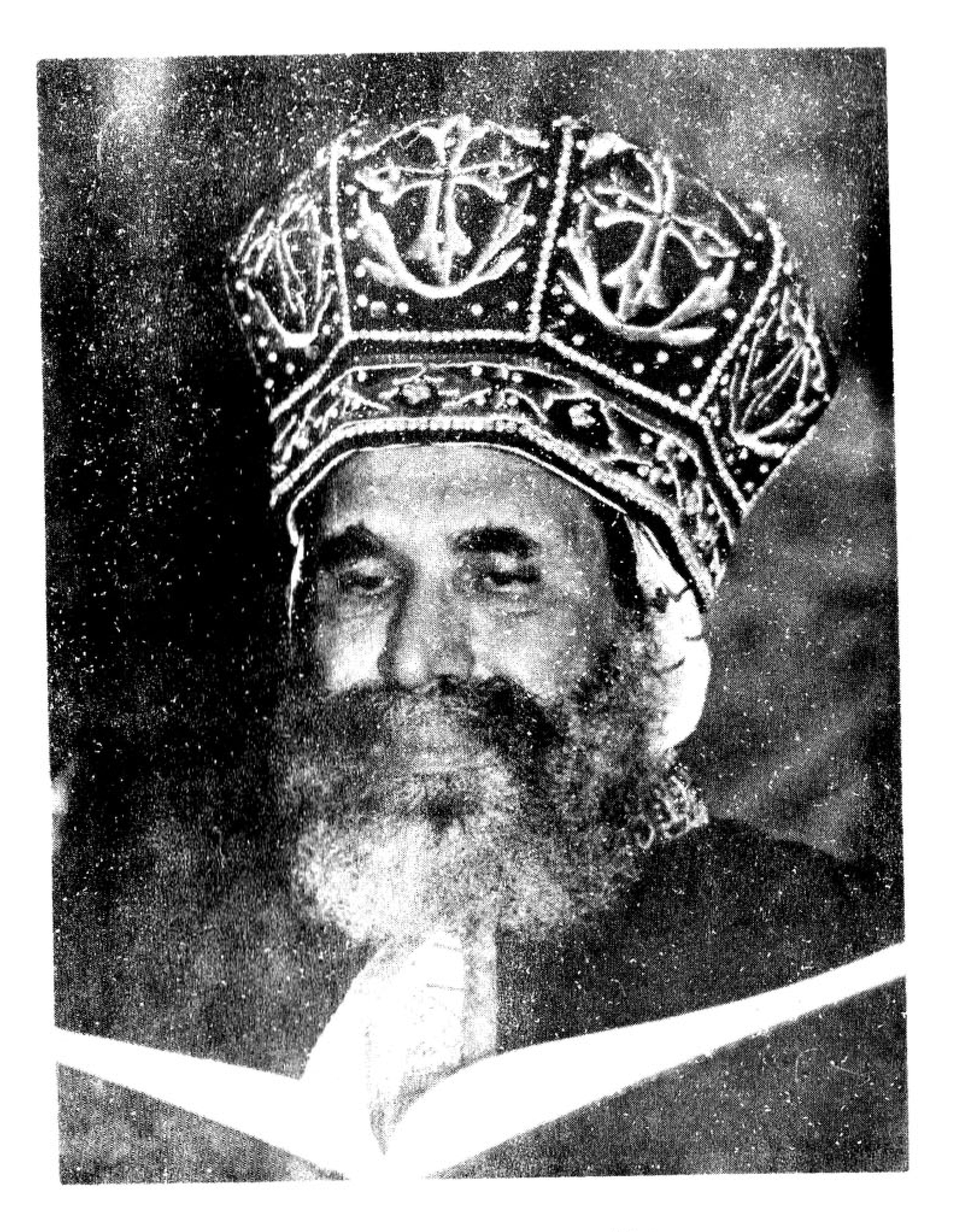
مطرانية الأقباط الأرثوذكس
بالغربية

عقيدة المسيحيين فى المسيح

الأنبا يؤانس



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



الأنبا يوأنس

أسقف الغربية

تقديم

ليس هذا كتاباً فى لاهوت السيد المسيح ، لكن محتوياته هى حصيلة خمس وعشرين عظة القيت فى الفترة من ٢١/٦/٨٤ إلى ٢١/١٢/١٩٨٤ على شعبنا فى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى ... وقد قمنا وقتذاك بطبعها فى خمس كتيبات وزعت مجاناً على شعبنا بأنحاء إيبارشية الغربية ... ولم نفكر وقتها فى اخراجها فى كتاب ، لأن اخراج كتاب فى لاهوت السيد المسيح يحتاج إلى عمل ضخم يظهر فى مؤلف كبير. لكن بعد أن اكتمل العمل رأيناه ـ على صغره ـ مفيداً للآخرين ، فعوّلنا على اخراجه فى كتاب يستفيد منه المؤمنون فى كل مكان ... وها نحن نقدمه فى صورته الأولى دون ما إضافة ، ونعرضه بأقل من تكاليف الطبع اكراماً وتمجيداً للاسم العظيم الذى دُعى علينا .

ولا يفوتنى فى هذه المقدمة أن أنوّه انى ـ إلى جانب المراجع الكثيرة التى رجعت إليها ـ اعتمدت كثيراً على ما كتبه نيافة الحبر جزيل الاحترام الأنبا غريغوريوس سواء ما أصدره مطبرعاً فى حلقات تحت إسم « أنت هو المسيح ابن الله الحى » ، أو بعض مذكراته لطلبة الكلية الاكليريكية .

وانى اضع هذا الكتاب بين يدى مخلصنا الصالح ليجعله سبب بركة وثبات فى الإيمان لكل من يقرأه . وليحفظنا الرب فى إيمانه إلى النفس الأخير. وله كل المجد والكرامة مع أبيه الصالح والروح القدس آمين ،

٢٠ من ابريل سنة ١٩٨٥م
١٢ من برموده سنة ١٧٠١ش .

يوم السبت من الأسبوع الأول
من الخماسين المقدسة

يـوأنس

بنعمة الله أسقف الغربية

مقـــدمـة

شغل موضوع المسيح عقول المفكرين عبر الأجيال، من مسيحيين وغيرهم ... وانقسموا بين مؤيد للاهوته ومنكر له ... البعض ينتزع المسيح اعجابهم، والبعض ينقمون عليه، والبعض لا يؤمنون به الإيمان كما عبّر هو عن نفسه !!... ولا عجب فى ذلك، فالمسيح ليس شخصاً تاريخياً وحسب، لكنه شخص حىّ دائم، وسيظل دائماً موضوع إيمان وشك الكثيرين. ولعل كلمات سمعان الشيخ - الذى حمل المسيح طفلاً على ذراعيه فى الهيكل - التى قالها لأمه العذراء مريم بروح النبوة، توضح ذلك ... قال « ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم (وهدفاً للمقاومة) » (لو ٢ : ٣٤) ... نفس هذا المعنى عبّر القديس بولس رسول يسوع المسيح بقوله « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً، لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة. وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٣، ٢٤).

١ ـ موقف اليهود الرسميين ـ الكهنة ورؤساؤهم ومعلموهم ـ واضح من الأناجيل المقدسة ... فلقد رفضوا المسيح رغم أنه جاء اليهم أولاً « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) . وحاولوا أن يلصقوا به ابشع الصفات . فقالوا عنه إنه سامرىّ و به شيطان (يو ٨ : ٤٨) . كما نسبوا معجزاته فى إخراج الأرواح الشر يرة إلى قوة بعلزبول رئيس الشياطين (مت ٩ : ٣٤ ؛ ١٢ : ٢٤) ... وظل حقد هؤلاء الحاقدين يتزايد حتى إنتهى الأمر إلى الصليب ... وكان طبيعياً بعد موت المسيح وقيامته المجيدة أن يتصدى نفس هؤلاء الحاقدون لرسل المسيح وتلاميذه ليعملوا بهم ما عملوه بمعلمهم ... والأصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل تقدم لنا صورة مصغرة لذلك الحقد الذى أخذ يتزايد و يتصاعد من سجن المسيحيين وجلدهم وتعذيبهم إلى قتلهم ، كما حدث مع إستفانوس رئيس الشمامسة وأول شهداء المسيحية . واتسعت دائرة الاضطهاد فبدأ بأورشليم وانتقل إلى غيرها كما نقرأ فى قصة شاول الطرسوسى (اأع ٩) ... وظل الأمر يسير على هذا النحو حتى دمار مدينة أورشليم وخراب هيكلها سنة ٧٠ م على يد الرومان الوثنيين .

وبعد دمار أورشليم وهيكلها تصدى اليهود للمسيحية والمسيحيين بطرق أخرى ، بعد أن نظروا إلى المسيحية كخصم

اليهودية الأول لكنهم لم يتورعوا عن قتل المسيحيين متى ملكوا الفرصة . ومن أمثلة ذلك قتل اليهود لآلاف المسيحيين فى بلاد حمير (اليمن الحالية) الذين فتك بهم الملك اليهودى ذونواس سنة ٥٢٣ م.

غير أن هناك فلاسفة يهود كانت لهم نظرة خاصة تجاة المسيح والمسيحية ، ومن هؤلاء الفيلسوف اليهودى الهولندى **باروخ سبينوزا** Spinoza **فى القرن ١٧** الذى عَدَّ المسيح أعظم الأنبياء قاطبة . واعتقد أن الله أفاض روحه على البشر وكلمهم بروح يسوع المسيح . ومما قاله : [نستطيع القول إن صوت المسيح هو صوت الله ، مثل ذلك الصوت الذى سمعه موسى سابقاً وإن كلمة الله الفائقة القدرة قد تجسدت بالمسيح واتخذت هيئة بشرية . وبذا اصبح المسيح طريق الخلاص للبشر . وبالجملة فإن المسيح وقف على أسرار الله ومكنوناته وسبر غورها ، وعبّر عنها بطريقة سامية ، نستطيع بسببها أن ندعوه - لا نبياً - بل فم الله نفسه] !!

والفيلسوف الفرنسى الكبير اليهودى **هنرى برجسون** Bergson الذى عاش فى جيلنا ، كان معجباً بالمسيح الاعجاب كله . لقد تعرف عليه وأحبه عن طريق دراسته لحياة النسّاك المسيحيين الذين قال عنهم [يكفى القديسين أن يكونوا ، فإن وجودهم دعوة إلى

الصلاح] . واعتقد أن أولئك القديسين بلغوا ما بلغوه من قداسة بفضل إتصالهم بالمسيح ، الذى هو فى رأيه [قمة الكمال الروحانى]... لم ينفِ عنه الألوهة ، ورأى فيه الطريق الأوحد الأمين الواجب إتباعه للوصول إلى الغاية القصوى ... و يقول عن المسيح [كان للألوهة مالكاً ، حين كان غيره لها مقلداً]... وعلى الرغم من اعجابه بالمسيحية فإنه لم يعتنقها لسبب ابداه فى وصيته التى نشرتها زوجته بعد وفاته سنة ١٩٣٨... قال [لقد ساقتنى ابحاثى أكثر فأكثر إلى المسيحية التى تكمل اليهودية تكميلاً حقيقياً . لكننى أشعر بموجة اضطهاد عنيفة ستجتاح العالم فى سبيل محاربة السامية .. لهذا رفضت اعتناق المسيحية لكى أظل بين الذين سيضطهدهم المستقبل . لكن ارغب فى أن يصلى على جثمانى كاهن مسيحى ، إذا سمح بذلك أسقف مدينة باريس . وإذا رفض فلا أرى مانعاً من الاتيان بحاخام ، دون أن يكتم عنه ولا عن أى شخص آخر إننى انضممت أدبياً إلى المسيحية ، وأن رغبتى الأولى أن أحصل على صلاة كاهن مسيحى] .

٢ ـ منذ قيام المسيحية ظهر فلاسفة وثنيون هاجموها بعنف وتصدى الفلاسفة المسيحيون للرد عليهم وهذا أمر يطول الحديث فيه . لكن نذكر بعض أمثلة من العصر الحديث . فى القرن ١٨

ظهر فلاسفة ما عرف باسم « **المدرسة العقلانية** » ، الذين أنكروا كل ما وراء الطبيعة - أى كل ما ليس منظوراً . لذا انكروا المسيحية التى تدور رسالتها حول الحياة الأبدية الفائقة للطبيعة والغير منظورة . وأخذوا يناصبون المسيحية العداء . وكرسوا جهودهم واقلامهم إلى ملاشاة المسيحية ... وفى مقدمة هؤلاء الفلاسفة الفرنسيين **ڤولتير وديدرو** Diderot **وچان چاك روسو...** والعجيب الذى يثير الضحك فى حياة ڤولتير هو أنه بعد أن حارب المسيحية والكنيسة طوال حياته ما حينما دنت ساعة موته توسل بالحاح إلى تلاميذه وذو يه أن يستحضروا له كاهناً ليمنحه سر التوبة وهو من أسرار المسيحية ... وقد تحول بيته بعد موته إلى دار لطبع الكتاب المقدس .

أما ديدرو فكان يرسل ابنته إلى مدرسة للراهبات لتتلقن التعليم المسيحى . ولما سئل عن هذا التناقض فى حياته قال [إننى لا أؤمن بالمسيح وكنيسته ، لكنى شديد الاعجاب بطهارة اخلاق الراهبات . وأر يد أن تصير إبنتى يوتا إمرأة شر يفة . ولهذا لا أرى بدأ من تثقيفها وتنشئتها وفقاً لمبادىء الإنجيل] ... لكن فات ديدرو أن الخلق الرفيع ليس سوى ثمار للمعتقد وفعله فى قلب الإنسان .

أما چان چاك روسوفتارة كان يؤمن بألوهة المسيح وتارة أخرى

لا يؤمن بها . ومن أقواله [الأناجيل هى من صنع البشر ، لكن يسوع المسيح بطل الإنجيل هو فوق البشر . وإذا كانت حياة وموت سقراط هى حياة وموت فيلسوف حكيم . فحياة يسوع المسيح وموته هما حياة إله وموته] !!

والآن ننتقل إلى نقطة أخرى فى موضوعنا ... هل كان البشر بحاجة حقاً إلى المسيح ؟ والإجابة نعم ... ولأسباب ثلاثة على الأقل :

١ - الفداء والخلاص :

لما سقط الإنسان فى المعصية وطُرد من الفردوس محكوماً عليه بالموت ، بدأ يُظهر الندم وعبّر عن ذلك بالاعتراف والصلوات وتقديم الذبائح ...

ومعنى الذبيحة التى قدمها الإنسان أنه أحسّ بحاجته إلى فادى ... هذا الفادى كان دوره هو دور الوسيط بينه وبين الله ... لكنه كان مستحيلاً أن يكون الحيوان وسيطاً بين الإنسان والله !! لأنه يُفترض فى الوسيط أن يكون فى مكانة أسمى وارفع من الإنسان ، وله دالة عند الله ...

وهكذا ادرك آدم وذريته أنهم بحاجة إلى وسيط لم يأتِ زمانه بعد ... **وما الذبائح التى كانت تقدم باستمرار إلاّ مجرد تذكرة للإنسان بحاجته إلى هذا الوسيط بالذات** ، الذى أُعطى آدم عنه وعداً أن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . ونسل المرأة هو المسيح الذى لم يأتِ بطريقة طبيعية كسائر البشر ، بزواج رجل بإمرأة .

وحتى لا ينسى الإنسان حاجته إلى هذا الوسيط أمرت الشريعة بتقديم الذبائح ... وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا ... لأن الناموس ... لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام أن يُكملّ الذين يتقدمون» (عب ١٠ : ٤ ، ١) ... ورغم أن دم الثيران والتيوس لا يمكن أن يرفع الخطايا ، فقد استمروا يقدمونها . وما ذلك إلاّ للتذكرة الدائمة المتكررة أن الإنسان بحاجة - لا إلى وسيط ، بل إلى هذا الوسيط الذى كانت تلك الذبائح الدموية ترمز اليه .

كانت الذبائح التى أمرت بها شريعة العهد القديم فى جملتها ترمز إلى ذبيحة المسيح الذى أتى وقدّم ذاته **«ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه»** (عب ٩ : ٢٦) ... وهكذا أتى المسيح

من أجل فداء الإنسان ... ومعنى الفداء أن هناك وسيطاً ينقذ آخر. بهذا المعنى كان المسيح وسيطاً وفادياً ، كما يقول إشعياء النبى قديماً بروح النبوة « الرب وضع عليه إثم جميعنا » (إش ٥٣ : ٦) ... « لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار... الله بين محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٦ ، ٨) . ويقول يوحنا حبيب الرب « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » (يو ١٥ : ١٣) .

لكن يقول قائل : ألم يكن ممكناً أن الله يرحم الإنسان ويخلصه ويفديه بكلمة واحدة من فيه ، دون أن يلجأ إلى أن يأخذ جسداً بشرياً ويتألم ويُصلب ويموت ؟!

والرد على هذا ، أن فداء الإنسان وأن يرحمه الله بكلمة واحدة ، يتعارض مع إحترامه لعدله ، والحكم الذى نطق به للإنسان الأول « موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) . فالله يحترم كلمته والحكم الذى صدر منه . « فالسماء والأرض تزولان أيسر من أن تسقط كلمة واحدة أو حرف واحد مما نطق به الله » (مت ٢٤ : ٣٥ ؛ مر ١٣ : ٣١ ؛ لو ٢١ : ٣٣) .

من هنا كان الحل الوحيد هو أن يأخذ الله صورة الإنسان ويتخذ شكله محتجباً فى جسد ، ويقبل فى هذا الجسد نفس الحكم الصادر على الإنسان ... وفى هذا كل الرحمة وكل العدل ... كل الرحمة لأنه ليس حب أعظم ، ولا رحمة أوسع من أن يقبل الله على ذاته القدوسة أن يتخذ له جسداً ترابياً ، ويقبل منه كل صنوف الضعف والهوان والمذلة والألم والصلب والموت ... وكل العدل لأن ليس أدل على هذه العدالة المطلقة من أن يقبل الله على نفسه تنفيذ الحكم الذى أصدره هو بنفسه على الإنسان . ولا شك فى أن قبول الله ذلك معنى العدالة واحترام الحكم الصادر منه على الإنسان ، حتى أنه لما لم يجد ما يصلح أن يكون بديلاً للإنسان المذنب ، قام هو نفسه بتنفيذ هذا الحكم فى جسده الذى اتخذه ...

وخلاصة القول ان الفداء كان ضرورة . والخلاص بالصورة التى تم بها بالصليب كان ضرورة . ولو كان هناك طريق آخر غير هذا لما كان هنا داعٍ لذلك ، أو بحسب تعبير بولس الرسول « فالمسيح إذن مات بلا سبب » (غل ٢ : ٢١) أى بدون داعٍ !!

هكذا نفهم كلمات القديس بولس الرسول عن المسيح

كالوسيط الوحيد «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح. الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١ تى ٢ : ٥ ، ٦) ... ولعلنا نلاحظ هنا أن الرسول يقول « الإنسان يسوع المسيح ». وهذا التعبير لتأكيد المفهوم أن المسيح له المجد اقتبل الآلام فى جسده ، وأتم الفداء حينما قبل بارادته أن ينفذ العقوبة فى جسده أيضاً .

٢ ـ تجديد الخليقة :

تفاقم الشر : منذ مخالفة الإنسان الأول آدم عرف الشر طريقه إلى البشرية كلها . وظل الشر يتفاقم و يستشرى جيلاً بعد جيل ... وكانت النتيجة ما نراه الآن ماثلاً أمام عيوننا من خراب ودمار وصراعات اصابت البشرية فى كل مكان ، سواء على مستوى الأفراد أو الشعوب ... لقد تشوهت صورة الإنسان الذى خُلق يوماً على صورة الله فى البرّ وقداسة الحق (أف ٤ : ٢٤) وسيطر على الإنسان مرض إسمه الشر !!...

● ماذا فعل الإنسان لعلاج هذا الشر ، وماذا فعل ليجتث جذوره ؟

بطبيعة الحال لم يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام الشر...

فلقد بذل ـ ومازال يبذل ـ جهوداً مُضنية من أجل علاجه والبرء منه . فأوجد الشرطة والقضاء والسجون والمستشفيات لهذا الغرض... أوجد الشرطة والسجون لكى يهابها الإنسان ويخشاها و يرتعب منها الأشرار . لكن للأسف ، فإن كل النتائج التى وصلوا إليها تؤكد أنهم فى حكم الفشل فى علاج المصابين بالشر... لقد وضعوا قوانين للعقوبات واستحدثوا التشر يعات ... لكن العقاب لم ولن يستأصل الشر . ومهما كان العقاب مخيفاً ورهيباً كالاعدام العلنى وقطع بعض اطراف الجسم مثلاً ، فإن ذلك لم ولن يستأصل الشر... ربما كان العقاب العنيف رادعاً للبعض ، فتختفى بعض الجرائم ، ولكن الشر يظل كامناً داخل الإنسان... وقد يتوقف الإنسان عن اقتراف جرائم يعاقب عليها القانون ، ليرتكب جرائم مستحدثة لم يضع لها القانون عقوبات لحداثة نوعيتها !! وكأن الناس يحاورون الدولة والقانون... لماذا كل هذا ؟ لأن الشر موجود داخلهم . ولا يوجد شىء يستطيع أن يقوم مقام ضمير الإنسان حتى لو أقاموا حارساً إلى جوار كل إنسان !!

● لقد ظن بعض الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين فى القرن الثامن عشر أن علاج المشاكل الاجتماعية كالفقر مثلاً ، سوف يؤدى إلى اختفاء الجرائم تماماً... لكن النتيجة المحزنة أن الشر

يتزايد بقدر ما تتزايد جهود المصلحين !! فما السرّ فى هذا الفشل ؟!
السرّ فى فشل القوانين الوضعية فى استئصال الشر ، أن الشر كامن داخل الإنسان ، ولا يمكن انتزاعه بالقوة المادية ... فالشر يصيب كل قوى الإنسان الروحية والفكرية وحتى الجسدية ... وكل المحاولات الحسيّة والمادية لاستئصاله والقضاء عليه هى اشبه بمحاولة علاج مرض عضوى كالحمى مثلاً بالعقل والحوار والمنطق !! لا علاج لهذا المرض العضوى إلاّ باستئصال أسباب هذا المرض .

أيها الأخوة ... بعض الأديان تعلّم أن قهر الخطيئة هو فى طاعة الله وحفظ أحكامه وشرائعه . والتدين السليم عند هذه الأديان يتمثل فى سعى الإنسان نحو الله . لكن المسيحية تعلّم غير ذلك . إنها ترى أن الخطية والشر هما مرض الروح ، وإن الإنسان بدون الله مريض . وقد أتى المسيح إلى البشرية كالطبيب الحقيقى الوحيد . وهذا ما أعلنه المسيح « **لا يحتاج** الاصحاء إلى طبيب بل المرضى » (مت ٩ : ١٢ ؛ مر ٢ : ١٧ ؛ لو ٥ : ٣١) ... حين ذهب إلى مريض بيت حسدا ، **سأله** « أتريد أن تبرأ » (يو ٥ : ٦) . فالإنسان بدون الله **مريض** ويحتاج إلى طبيب . من أجل هذا جاء ربنا يسوع المسيح **الطبيب**

الحقيق إليه . جاء الطبيب إلى المريض يسعى إليه دون أن يطلبه « وجدت من الذين لم يطلبونى ، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى » (رو ١٠ : ٢) ...

فى معجزة تفتيح عينى المولود أعمى نلاحظ أن هذا الإنسان لم يطلب من المسيح أن يشفيه ، لكن المسيح هو الذى تقدم نحوه ليشفيه مؤكداً أن ذلك الرجل ولد بهذه العلة « لكى تظهر أعمال الله فيه » (يو ٩ : ٣) .... هذا مثال لرجل كان مريضاً بمرض عضوى . ولدينا مثل آخر لإنسان كان مريضاً بمرض روحى وسعى إليه المسيح دون أن يطلبه . كان هذا الإنسان هو زكا ... إن زكا لم يطلب من المسيح شيئاً ولا حتى دنا منه ، لكن المسيح هو الذى تحدث إليه قائلاً له « يا زكا اسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك » . اسرع زكا وقبل المسيح فرحاً فى بيته . وفى نهاية ذلك اللقاء يقول المسيح « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً إبن إبراهيم . لأن إبن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » (لو ١٩ : ١ - ١٠) ... هكذا يظهر لنا السيد المسيح من خلال معاملاته مع المولود أعمى وزكا ، سعى الله نحو الإنسان ليشفيه و يعافيه و ينقذه من كل وجعه .

يا أحبائى ... **إن البشرية بكل شرورها تشبه إنساناً ينزف**

دماً غزيراً ويحتاج على الفور إلى نقل دم ، ومن نفس فصيلة دم هذا المريض ، لكى ما يستمر حياً .

فماذا كانت طريقة الله فى العلاج ؟

ماذا كانت طريقة الله لعلاج الإنسان المريض الذى شوّه الشر صورته الأولى ؟

كإعداد للعلاج الحقيق والناجح ، أرسل الله الأنبياء « أنت الذى أرسلت لى الأنبياء من أجلى أنا المريض » (القداس الغريغورى) ... أرسل الله الأنبياء لكى ما يهيئوا البشرية ويعدّوها لمجىء المخلص الحقيق ربنا يسوع المسيح ... وماذا افلح فيه الأنبياء ؟ لقد نجحوا فى تشخيص مرض البشرية ، وتعريفهم بعظم خطاياهم وبشاعتها وسوء أحوالها . هذا هو كل ما استطاعوا أن يعملوه ...

والحقيقة أن وصايا الله كانت معروفة للبشر. كانوا يحفظونها ، لكنهم كانوا فى حالة عجز تام عن الاستفادة منها ... وفى ذلك يقول بولس الرسول « لأن بالناموس معرفة الخطية » (رو ٣ : ٢٠) ... « وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » (رو ٥ : ٢٠)... والمعنى أن الناموس يشبه المرآة التى تُظهر

للإنسان ما بصورته من عيوب ، لكن لا قدرة لها على اصلاح هذه العيوب ... نعم كانت وصايا الله موجودة لدى البشر ، وكانوا على علم بها ، بل كانوا يحفظونها عن ظهر قلب لكنهم كانوا عاجزين عن تنفيذها ... والشاب الغنى الذى ركض نحو المسيح يسأله فى لهفة عما يعمل ليرث الحياة الأبدية ، لما علم بأن عليه أن يحفظ الوصايا أجاب « هذه كلها حفظتها منذ حداثتى » ... ومع ذلك كان حفظه للوصايا حفظاً تلقينياً لم يستطع أن يغيّر من حياته ومن حبه الشديد للمال . إذ لما نصحه المسيح بأن يوزع أمواله على الفقراء « مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة » (مت ١٩ : ١٦ - ٢٢ ؛ مر ١٠ : ١٧ - ٢٢ ؛ لو ١٨ : ١٨ - ٢٣) .

على أنه لا ينبغى أن يُفهم من قول الرسول بولس « لأن بالناموس معرفة الخطية ... **وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » ، إن المشكلة كانت فى الناموس والوصايا الإلهية ...** فنفس الرسول بولس يقول « هل الناموس خطية . حاشا . بل لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس ... إذاً الناموس مقدس ، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » (رو ٧ : ٧ ، ١٢) ... **لكن المشكلة الحقيقية هى فى ضعف الإنسان وعجزه عن إتيان الصلاح ...** « فإننا نعلم أن الناموس روحى ، وأما أنا فجسدى مبيع تحت

الخطية . لأنى لست أعرف ما أنا أفعله . إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما ابغضه فإياه أفعل ... فإنى أعلم أنه ليس ساكن فيَّ أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فيَّ ... أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى و يسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . وَيْحِي أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ١٤ - ٢٤) .

أيها الاخوة ... **هذه هى مأساة البشرية !! فلدينا كتب الأنبياء التى تشخص المرض ، لكننا نحتاج إلى العلاج . كيف نقهر الشر فينا ؟!...** ولا يفوتنا أن نذكر أنه ليس بدون حكمة قد سجل الكتاب المقدس سير هؤلاء الأنبياء ، وضمّنها أخطاءهم ... إنهم بشر كسائر البشر يخطئون ... **وعلى الرغم من الرسالة المقدسة التى قام بها هؤلاء الأنبياء ، لكن تكرار ظهور الأنبياء فى حد ذاته ، كان يعنى أن البشرية تحتاج إلى شىء أقوى من مجرد رسالات هؤلاء الأنبياء الشفوية والمكتوبة ... كانت تحتاج إلى الله الخالق ذاته !!**

ولقد تنبأ عن ذلك أرميا النبى بقوله « ها أيام تأتى يقول الرب ، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً . ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر**، حين نقضوا عهدى ، فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب . **أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم ، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً** » (أرميا ٣١ : ٣١ : ٣٣) . ونلاحظ كلام السيد الرب عن هذا العهد الجديد : **إنه يجعل** شريعته فى داخل البشر ، ويكتبها على قلوبهم **!!...** كانت شريعة الله قديماً مجرد وصايا ونواهى من الخارج ، أما بالمسيح وفيه فقد تجدّدت طبيعة الخليقة ، وصارت الشريعة والوصية ليست شيئاً مفروضاً من الخارج ، بل مكتوبة على القلب من الداخل ... **وهنا تظهر إمكانية حياة القداسة وغلبة الشر فى العهد الجديد ، عهد النعمة** . وإلى ذلك اشار بولس الرسول فى (عب ٨ : ٨ - ١٠) مقتبساً نفس كلمات أرميا النبى ...

وفى عظة السيد المسيح على الجبل نلاحظ قوله « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب

الحكم ... قد سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تزنِ . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ... سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر... ». لقد قال السيد المسيح هذه التعاليم بعد أن قال « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (مت ٥ : ١٧ ، ١٨) ... **معنى هذا الكلام أن شريعة العهد القديم كانت صالحة لبناء الإنسان وتقويمه ، لكن الإنسان بطبيعته التى أفسدتها الخطية ما كان يستطيع أن يحيا حياة الكمال الإنجيلى . ومن أجل هذا راعى الله ظروف الإنسان القديم ... لكن المسيح أتى ليجدّد طبيعة الإنسان حتى ما يستطيع أن يحيا حياة الكمال الإنسانى (الكمال النسبى) ...**

التجســـــد :

هكذا جاء الله إلينا فى المسيح يسوع عندما حلّ فى احشاء البتول العذراء الطاهرة مريم ، وأخذ منها جسداً ، وولد مثل سائر البشر ... فى المسيح يسوع حدث اتحاد بين كل ما لله (اللاهوت) ، بكل ما للإنسان أى الجسد والنفس . وعندما اتخذ الله له جسداً ،

جعل قوة الحياة الإلهية تتحد بهذا الجسد اتحاداً كاملاً « الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده » (يو ١ : ١٤) ... لقد اتحد الله بكل ما للطبيعة البشرية ما خلا الخطية (والخطية شيء دخيل على الإنسان. والخطية ليست من صنع الله ولكنها من صنع الإنسان) .

كان هذا الاتحاد - اتحاد اللاهوت بالطبيعة الإنسانية - هو أهم اعلانات الله عن محبته للإنسان محبة فائقة المعرفة . لأنه ارتضى أن يتحد بالعنصر الإنسانى ، بكل ما فيه من جسد ونفس ... وعندما اتحد اللاهوت بطبيعتنا البشرية ، اكتسبت هذه الطبيعة خواص جديدة ... « لكن وضعت ذاتك وأخذت شكل العبد . وباركت طبيعتى فيك ، وأكملت ناموسك عنى . أريتنى القيام من سقطتى ... أزلت لعنة الناموس . أبطلت الخطية بالجسد . أريتنى قوة سلطانك ... أنهضت الطبيعة بالكلمة » .

ولما حدث هذا الاتحاد وصار جسد ابن الله حيّاً ، وقهر الموت بالقيامة ، أصبح كل من يريد أن يحصل على حياة جديدة ، عليه أن يتحد به فى المعمودية لينال التجديد والقيامة ، ويتحد به سرياً فى الأفخارستيا (التناول المقدس) ، فيعطى عناصر الحياة وعدم الفساد والقيامة من الموت . وبذا تتم كلمات القديس بطرس

الرسول عن الإنسان أنه يصير شريك الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤) . أو كما تقول ثيئوطوكية يوم الجمعة فى التسبحة السنوية المقدسة « هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له ، نسبحه ونمجده ونزيده علواً » ... والمعنى أنه أخذ الجسد وأعطانا بركات الطبيعة الإلهية .

يا أحبائى ، **هذه هى الطريقة الوحيدة لعودة الإنسان إلى الله بتجديد طبيعته. وهذه العودة ليست مثل عودة الإنسان فى الأزمنة السابقة بالتوبة وإطاعة الوصية ، بل هى عودة فيها اقتراب الله من الإنسان ، واتحاده به لعلاج الفساد الذى أصاب الطبيعة الإنسانية .**

وجدير بالملاحظة ، **أن الدور الذى قام به المسيح لم يكن كدور موسى مثلاً وباقى الأنبياء . فلقد جاء بعلاقة جديدة لا يمكن للشر أن يهددها أو يغصمها ولا تقوى الخطية عليها . وفى ذلك يقول بولس الرسول « لأن الخطية ليست مثل النعمة »** (رو ٥ : ١٥) ... يقول **القديس كيرلس الكبير** [إن الطبيعة الإنسانية أُسرت وصارت فى قبضة الموت ، وساد عليها الفساد ، لذلك فمن الضرورى لكى تقوم علاقة جديدة لا يهدّها الفساد ، أن يتم لقاء بين الله والإنسان ، تجد فيه المشاكل القائمة بين الاثنين

حلّها النهائى والأخير. فكان الحل الإلهى - لأن المبادرة بيد الصالح وحده - أن يأخذ لنفسه جسداً من هذه الطبيعة الفاسدة ، ويجعله واحداً مع لاهوته ، فى اتحاد لا انفصال فيه أو اختلاط ، مثل اتحاد النار بالحديد] .

اعتراضات على التجسد والإجابة عليها :

أ - كيف يستطيع الله غير المحدود أن يسكن فى الإنسان المحدود ؟!

حقيقة أن الله غير محدود ، لكنه يمكنه أن يحل فى كل البشر ، ويظل هو الله غير المحدود . فمثلاً الهواء يُغلّف الكرة الأرضية كلها ... هذا الهواء نفسه موجود فى رئات البشر. وعن طريقه يتنفسون سواء فى اليقظة أو النوم . لكن وجود الهواء فى رئات البشر لا يمنع أن يكون هو مالئاً لكل الغلاف الجوى للأرض ... وكمثال ثان نقول إذا وضعت أوانى كثيرة فارغة فى مياه بحر أو محيط . إنها جميعها تمتلىء بالماء . لكن ذلك لا يمنع أن يظل الماء مالئاً للبحر أو المحيط ومحيطاً بتلك الأوانى ... هكذا يمكن الله أن يسكن فينا ، وفى نفس الوقت يكون مالئاً لكل مكان لأنه غير محدود .

ب ـ كيف يتحد الله القدوس الفائق السمو بالإنسان الدنىء الخاطىء ؟

يسخر البعض من اتحاد الله بالطبيعة الإنسانية الدنيئة ، فضلاً عن القول إن طبيعة الله نفسه تختلف عن طبيعة الإنسان... ونحن نقول إنه ليس من ينكر أن طبيعة الله مختلفة عن طبيعة الإنسان . لكن التجسد لا يعنى أن الله تحول إلى إنسان ، بل ان الله تنازل واتحد بكل مكونات الإنسان ، وفى نفس الوقت يظل هو الإله القادر على كل شىء...

يقولون إن الإنسان يأكل و يشرب ويمارس عمليات الاخراج (التبول والتبرز)... إلخ ، كيف يتحد الله بمثل هذه الطبيعة الإنسانية . إنها إهانة لله وطبيعته !! ونحن نقول إن ممارسة الإنسان للأكل والشرب وعمليات أخراج البول والبراز ليست دليلاً على دناءة الإنسان ، وبالتالى لا تعتبر خطية ... اليس جسد الإنسان هو من صنع الله ؟ فهل يخلق الله شيئاً حقيراً ودنيئاً ؟! الله الكامل خلق كل شىء كاملاً طاهراً ومقدساً . وبعدما أكمل الله خلقة الإنسان فى اليوم السادس ، يذكر الكتاب المقدس هذه العبارة « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً » (تك ١ : ٣١)... ومن جهة أخرى كيف يغفل المعترضون ما فى الإنسان من أجهزة

غاية فى الدقة والسمو والتعقيد كالمخ والجهاز العصبى والدورى والتنفسى والبولى، ليذكروا فقط عمليات الإخراج ؟!!

ونود أن نشير مجرد إشارة إلى أن العظمة الحقيقية فى المسيحية هى عظمة المحبة والاتضاع، وليست عظمة التعالى والترفع والاستهانة بالإنسان.

جـ - كيف يستطيع البشر أن يروا الله الذى لا يُرى ؟!

حقيقة إن الكتاب المقدس يقول عن الله « الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (١ تى ٦ : ١٦). وقال الله لموسى قديماً « لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠). فكيف بعد هذا يُقال إن المسيح هو الله ورآه كل الناس ؟!... ونحن نقول إن الكلام فى الآيتين السابقتين عن رؤية اللاهوت مجرداً. وهذا بطبيعة الحال أمر مستحيل. لذا حينما أراد الله أن ينزل إلى البشر ليتمم عملية الفداء، ويصبح عمانوئيل (الله معنا)، كان لا بد أن يأخذ جسداً يخفى به هذا اللاهوت ...

ثم لماذا يحتجب الله عن البشر ويحدثهم من خلال الأنبياء فقط ... لقد كان اختيار الله للوحى للتعريف عنه سواء بواسطة الأنبياء أو الكتب المقدسة، إنما هو بمثابة تمهيد للإعلان الأكبر

والأكمل عندما يحل بيننا ، ويصير كواحد من البشر، ويصبح عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا ... وحسناً يشبه بعض الآباء الوحى بالخطوبة والتجسد بالزواج لأن المحبة والألفة تنتهى باتحاد بعلاقة أقوى ، ولذلك ختم الله إعلانه عن نفسه بالتجسد .

د ـ يدعون أن عقيدة التجسد مستوحاة من الوثنية ...

وللإجابة على ذلك نقول إنه ليس هناك أى سند من نصوص وثنية تثبت ذلك . وليس ثمة أية مقارنات بين نصوص وثنية ونصوص الإنجيل لتؤكد الاقتباس . فلقد ظهرت المسيحية فى بلاد فلسطين وفى مهد يهودى بجوه الروحى واللاهوتى ولو كانت المسيحية ظهرت فى بابل أو مصر أو بلاد فارس لكان لنا أن نشك فى أصلها الوثنى ... ثم إننا نلاحظ أن كل أسفار العهد الجديد تشير دائماً إلى نبوءات أنبياء العهد القديم ، وهم أنبياء إسرائيل . ولا تشير هذه الأسفار إلى مصادر وثنية . بل إن كلاً من أسفار العهد القديم والجديد تحارب الوثنية بكل عنف ، فكيف تقتبس منها ؟!

٣ ـ قدم للبشرية مثلاً للكمال الإنسانى :

وهذه تعتبر نقطة ثانوية بالقياس إلى النقطتين الأولى والثانية ... أتى السيد المسيح لكى يقدم للبشرية مثلاً للكمال الإنسانى . ولكى

ما يعرّفهم و يسلّمهم تسليماً أن هذا الكمال الإنسانى ـ الذى يسمى الكمال النسبى بالنسبة لكمال الله المطلق ـ إنما هو شىء ممكن ...

كانت الكمالات وكمال الفضيلة الإنسانى منذ القديم معروفة للإنسان معرفة نظرية عن طريق الكتب المقدسة . لكن أمكن للإنسان فى العهد الجديد ، وفى شخص المسيح أن يعرف صفات الله وكمالاته معرفة مباشرة فى المسيح ، الذى هو صورة الله غير المنظور (كو ١ : ١٥) ... « الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الجنس الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) .

لقد علّم السيد المسيح الفضيلة بشخصه وليس بكلامه كما فعل كل المعلمين الذين سبقوه . عاش كاملاً بالجسد حياة الكمال الإنسانى ، لكى ما يثبت للإنسان أن هذا الكمال النسبى أو الكمال الإنسانى فى إستطاعته أن يحياه . وقدم ذاته كاملاً فى كل سيرة متحدياً مقاوميه ... هؤلاء المقاومون الذين حاولوا فى كل مناسبة أن يصطادوه ولو بكلمة (لو ١١ : ٥٤) ... لقد تحدّى هؤلاء المغرضين الأشرار أن يُثبتوا عليه خطية « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . وهكذا ترك لنا المسيح مثلاً لكى نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) ... كل ذلك دعا القديس أغسطينوس لأن يقول : [مباركة هى خطية آدم التى جلبت للإنسان كل هذا الخير] !!

ومعنى هذا أنه لولا هذه الخطية وما ترتب عليها ، وما نتج عنها ، لما أتى المسيح إلينا ، ولبس جَسَدنا الترابى وعاش بين البشر كواحد منهم .

من يكون المسيح

ما هى عقيدة المسيحيين فى المسيح ؟

أ - يؤمن المسيحيون منذ أن قامت المسيحية وحتى اليوم ، أن المسيح هو « ابن الله الحىّ » استناداً إلى اعتراف بطرس الرسول الذى طوّبه المسيح وكشف أن لحماً ودماً لم يعلن له هذا الإيمان ولكن الآب الذى فىّ السموات . واردف المسيح أن على صخرة الإيمان هذه يبنى كنيسته ، وأبوابَ الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦ : ١٣ - ١٨) .

تعليق المسيح هذا على اجابة بطرس تعنى أن حقيقة لاهوت المسيح يخفيها ناسوته ... والناظر إلى المسيح لا يرى فيه إلاّ إنساناً . أما كونه « ابن الله الحىّ » فهذا أمر جاء نتيجة اعلان الآب السماوى وانه ليس صادراً عن بطرس ذاته ... أما الصخرة التى يشير إليها المسيح انه يبنى عليها كنيسته فهى المسيح ذاته كما كشف ذلك بولس الرسول (١ كو ١٠ : ٤) . وفى ذلك يقول داود النبى : « لأن من هو إله غير الرب . ومن هو صخرة سوى إلهنا » (مز ١٨ : ٣)...

معنى هذا الكلام أن المسيح والإيمان بلاهوته ، والاعتراف بأنه « ابن الله الحى » هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها ... والحق أن هذه هى الحقيقة الأولى فى الإيمان المسيحى ، وبدونها لا يُحسب الإنسان مسيحياً ...

٢ - ويؤمن المسيحيون انه إلى جانب كون المسيح « ابن الله الحى » فهو الله الظاهر فى الجسد . هو الله الذى لم يكن منظوراً فى العهد القديم ، وصار منظوراً فى العهد الجديد فى المسيح ... بمعنى انه هو الله غير المنظور ، وقد صار منظوراً فى المسيح .

١ - فالمسيح هو « **كلمة الله** » أو « **الله الكلمة** » أى « **اللوغوس** » ... يقول يوحنا فى فاتحة إنجيله : « **فى البدء كان الكلمة** » وليس المقصود بلفظ « الكلمة » هنا ، الكلمة التى تخرج من الشفاه ، وإلاَّ لقيل « فى البدء كانت الكلمة » لأن لفظ الكلمة فى اللغة العربية مؤنث ... **إنما الكلمة هنا تعبير عن ابن الله الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس** ... وفى النص الأصلى اليونانى الذى كتب به العهد الجديد نقرأ « فى البدء كان اللوغس » ... فما هو اللوغوس ؟... اللوغوس كلمة يونانية استخدمت فى الفلسفة اليونانية للتعبير عن العقل الكونى ... فهى إذن تعنى **العقل الإلهى الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل .** وحينما يقول

يوحنا : « فى البدء كان الكلمة » فإنما يعنى الأزل . ولم تمر لحظة من الزمان كانت الذات الإلهية بدون لوغوس أى بدون عقل . فالعقل فى الله ليس جزء منه ، لأن الله لايتجزأ ... فالله عقل ولا مادة فيه ... **المسيح إذن هو « الله الكلمة » . والمقصود الكلمة الفاعلة أى الخالقة** « فإن فيه خُلِقَ الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلِقَ » (كو ١ : ١٦) ... المسيح هو الذى « به كان كل شىء ، وبغيره لم يكن شىء مما كان ... كان فى العالم ، والعالم به كُوِّنَ » (يو ١ : ٣ ، ١٠) .

وهو الله الكلمة الذى تكلم على افواه الأنبياء القديسين جميعاً . وهو الله الكلمة لأن الله غير المنظور كلمنا فى المسيح المنظور « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه الذى جعله وارثاً لكل شىء . الذى به أيضاً عمل العالمين » (عب ١ : ١ ، ٢) .

٣ ـ ويؤمن المسيحيون أيضاً أن المسيح ليس نبياً أو رئيس أنبياء ، على الرغم من أنه تكلم عن ذاته كنبى فى بعض المواقف . فمثلاً عندما رفضه أهل الناصرة قال : « ليس نبى مقبولاً فى وطنه » (لو ٤ : ٢٤) . وعندما حذّره الفريسيون من غضب هيرودس

الملك قال : « ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » (لو ١٣ : ٣٣) . كما أنه اشير إليه على لسان موسى أنه « **النبى** » **معرف بأل التعريف** (تث ١٨ : ١٥ - ١٩) . فى هذه النبوة يدعو موسى المسيح « نبياً مثلى » ... وقد كانت هذه النبوة معروفة لدى اليهود معرفة كاملة ، حتى أنهم سألوا يوحنا المعمدان حينما ظهر « من أنت » ، وهل هو المسيح . لكن يوحنا اعترف واقر انه ليس المسيح فسألوه : « إذاً ماذا . إيليا أنت . فقال لست أنا . النبى أنت . فاجاب لا ... فسألوه وقالوا له فما بالك تعمدّ إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى » (يو ١ : ١٩ - ٢٥) . وإلى هذه النبوة وفَهِمِ اليهود أنها تشير إلى المسيح أشار استفانوس شهيد المسيحية الأول (أع ٧ : ٣٧) . وجدير بالذكر أن كلام موسى المشار إليه سابقاً لم يكن عن مجرد نبى عادى . لأنه فى نفس الموضع يقول الرب « و يكون ان الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه » ...

نعود ونقول ان المسيح رغم انه حال كونه فى الجسد ، أخذ وظيفة نبى ، فليس معنى ذلك أنه نظير بقية الأنبياء الذين عرفتهم البشرية ... والسؤال الآن **لماذا دعا المسيح نفسه فى بعض المواقف نبياً** . والإجابة على ذلك تتطلب أن نتوقف قليلاً لنعرف ماذا يقصد بكلمة نبى فى الكتب المقدسة ؟

النبي هو من يتكلم نيابة عن آخر ... وكمثال لذلك موسى النبي وأخوه هارون . قال الرب لموسى حينما استعفى أن يبلغ رسالته إلى فرعون مصر محتجاً بأنه ثقيل الفم واللسان « تكلمه (أى تكلم هارون) وتضع الكلمات فى فمه ... وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فماً . وأنت تكون له إلهاً » . (خر ٤ : ١٥ ، ١٦) ... وعبارة « تكون له إلهاً » صعبة ، حين نصطدم بها لا يمكن فهمها ما لم نفهم معنى النبوة فى الكتاب المقدس ... ما هو قصد الله بهذا التعبير ؟! قصد الله أن موسى يكون مصدر التبليغ ، الأمر الذى يُعبَّر عنه بعبارة « تكون له إلهاً » ، وهارون يكون نبياً (يكون فماً) ... هذا الوصف يوضح نسبة النبي إلى الله .

نفس المعنى يوضحه قول الرب لارميا النبي « مثل فمى تكون » (أر ١٥ : ١٩) . وقوله لموسى عن النبى المزمع أن يرسله فى ملء الزمان « وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تث ١٨ : ١٨) ... لذا - من أجل أن الانبياء هم مجرد مبلّغين لكلام الله ولإرادته ، حرص أنبياء العهد القديم على تعبير كثيراً ما نقرأه فى كتاباتهم « هكذا قال الرب » .

هنا نتساءل كيف كان المسيح نبياً بالمفهوم السابق ؟...

كان المسيح نبياً من حيث أنه أبلغ البشر أفكار الله وارادته ...

و يتضح ذلك من قوله « الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى » (يو ١٤ : ٢٤)... « تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى » (يو ٧ : ١٦) ... « ولست افعل شيئاً من نفسى ، بل اتكلم بهذا كما علّمنى أبى » (يو ٨ : ٢٨) ... هذا فضلاً عن أن المسيح دعى نبياً لأنه اخبرنا بأمور ما كان ممكناً للبشر أن يعرفوها بدونه « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الجنس الذى فى حضن الآب هو خبّر» (يو ١ : ١٨)- « **هو خبّر** » أى أنه هو الذى قال لنا عن الله كما اخبرنا بأمور مستقبلة عتيدة أن تحدث كخراب أورشليم وهيكلها ونهاية العالم وما يسبقها من علامات واحداث .

بكل هذه المعانى دعى المسيح نبياً . وكان هو خاتم السلسلة النبوية للعهد القديم وبه وفيه انتهت الوظيفة النبوية .

٤ - و يؤمن المسيحيون أن المسيح ليس هو عبد الله بمفهوم هذا التعبير ، وإن كان فى تجسّده اخذ صورة عبد حجب بها لاهوته ... يقول القديس بولس الرسول عن المسيح : « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (لم يحسب مساواته لله اختلاساً . أى أنه لم يأخذ شيئاً ليس له) ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٦ ، ٧) .

ولا بد لنا هنا من وقفة طويلة عند تعبير « **صورة الله** » الذى

يستخدمه بولس عن المسيح فى هذه الآية ، لئلا يظن أحد أن المسيح مجرد صورة وليس الأصل !! لقد كُتبت أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية ... وفى اللغة اليونانية كلمتان مختلفتان تترجمان فى اللغة العربية إلى كلمة « صورة » ... الكلمة الأولى هى مورفى ΜΟΡΦΗ (Morphi) والكلمة الثانية هى إيكون ЄΙΚΟΥ ، ومنها كلمة أيقونة باللغة العربية ، وتعنى المماثلة ، أو أنها نموذج مطابق للأصل .

والكلمة التى يستخدمها بولس فى الآية السابقة هى ΜΟΡΦΗ وليس ЄΚΟΥ وكلمة مورفى ΜΟΡΦΗ المستخدمة هنا لا تعنى الشكل الجسدى ، بل كانت تعبيراً يونانياً فلسفياً فى ذلك الوقت يُعبّر به عن الكائن الذى يحمل فى ذاته الطبيعة والصفة المميزتين للكائن الذى يُنسب إليه ... كان ربنا يسوع المسيح فى صورة الله بهذا المعنى ... أضف إلى هذا أن لفظ الله فى هذه الآية ورد فى النص اليونانى بدون أداة تعريف . وبذا فهو يشير إلى الجوهر الإلهى . وعلى ذلك فإن المعنى المقصود بتعبير « صورة الله » فى هذه الآية التى أوردها الرسول بولس ، أن تعبير الرب يسوع الخارجى لأعمق أعماقه الداخلية بالنسبة لطبيعته ، إنما هو تعبير عن جوهر اللاهوت الإلهى . وحيث أن ذلك التعبير الخارجى - الذى يدل

عليه لفظ μορφη أى صورة - نابعة من الكيان الداخلى و يصوّره تصويراً حقيقياً ، فيتبع ذلك ، أن ربنا يسوع المسيح من جهة طبيعته يملك جوهر اللاهوت الإلهى ، و يشترك مع الله الآب والله الروح القدس فى نفس جوهر اللاهوت .

وثمة ملاحظة فى نفس الآية السابقة ... فعبارة « **الذى إذ كان** » فى أصلها اليونانى لا تشير إلى الزمن الماضى الذى تم وانقضى ، بل هى مكتوبة فى صيغة تعبّر عن حالة فى الماضى تمتد إلى الحاضر... وعلى ذلك فإن معنى الآية السابقة يصحح كالآتى : إن الرب يسوع - من جهة حوزته لجوهر اللاهوت - لم يتوقف عن ذلك حينما أخلى ذاته بالتجسد . و بعبارة أخرى : ان الرب يسوع كان بجوهر اللاهوت - ليس فقط قبل تجسده - بل بعد هذا التجسد أيضاً . و يوضح و يؤكد هذا المعنى قول السيد المسيح لنيقوديموس « ليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) ... أى أن ابن الإنسان صعد ونزل وهو الذى يكلمك .

٥ - و يوقن المسيحيون أن المسيح **ليس رسولاً** بمفهوم الرسل الآخرين المعروفين . وإن كان المسيح قد قال فى بعض المواضع إن الآب أرسله « لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى

أرسلنى ... كما أرسلنى الآب الحىّ ، وأنا حىّ بالآب ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى » (يو ٦ : ٤٤ ، ٥٧) ... فما ذلك إلاَّ لأن المسيح هو صاحب رسالة أتى من السماء ليبلغها و يتممها ...

على أنه هناك فارق كبير جداً بين ارسالية المسيح بالمعنى الذى قصده ، والإرسالية بالنسبة للأنبياء والرسل من البشر . ارسالية المسيح من الآب ، إرسالية باطنية فى داخل وحدة الثالوث القدوس . أما إرسالية الأنبياء والرسل فهى إرسالية خارجة من الله إلى البشر .

٦ ـ إيمان المسيحيين بالمسيح اليوم هو بعينه الإيمان الرسولى الذى عاشه المسيحيون الأوائل . ولا حجة مطلقاً للإدعاء الذى يشيعه بعض أعداء المسيحية من أن الإيمان الأصلى للمسيحيين حتى أوائل القرن الرابع المسيحى كان هو إيمان آريوس الهرطوقى المبتدع الذى علّم بأن المسيح ليس واحداً مع الآب فى الجوهر (ليس مساو ياً للآب فى الجوهر) ، وان البابا الاسكندرى اثناسيوس هو الذى فرض فكرة الإيمان بألوهية السيد المسيح بالقوة . هذا الكلام محض إفتراء . لكن المسيح هو الذى تكلم عن نفسه معلناً عن لاهوته ، وشهد لألوهته بأعماله « الأعمال التى أنا أعملها باسم

أبى هى تشهد لى » (يو ١٠ : ٢٥) . وسنتناول هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

٧ - جميع المسيحيين أمس واليوم ومنذ بدء المسيحية ، مجمعون على الاعتقاد بلاهوت المسيح . فعلى الرغم من الاختلافات العقائدية بين الكنائس والمذاهب المختلفة فى نطاق المسيحية ، فالمسيحيون على إتفاق تام فيما يختص بلاهوت المسيح . لا فرق فى ذلك بين أرثوذكس وكاثوليك و بروتستانت . وأية طائفة تنتسب إلى المسيحية ولا تعترف بلاهوت المسيح هى ليست مسيحية على الاطلاق ، ومن أمثلتهم من يسمون أنفسهم « شهود يهوه » ...

فى بداية إجابتنا عن السؤال الكبير « من يكون المسيح » ، عرضنا باختصار لعقيدة المسيحيين فى المسيح ... **والآن ننتقل لصميم الإجابة عن هذا السؤال « من يكون المسيح » وذلك من خلال أربع نقاط :**

أ - نبوات أسفار العهد القديم عن المسيح .
ب - إتصاف المسيح بجميع صفات الله .
جـ - عَمَل المسيح جميع أعمال الله .

د ـ قبول المسيح لسجود الآخرين وعبادتهم لهم ، وهما أمران ينفرد الله بها .

ونبدأ الآن بالكلام عن كل نقطة من هذه النقاط ...

أولاً ـ نبوات أسفار العهد القديم عن المسيح :

لم يحدث أن شخصاً ظلت تترقبه أجيال البشر وكل شعوب الأرض منذ أن سقط الإنسان الأول وطرد من الفردوس ، مثل شخص المسيح ... فقد ظل الله يهيء أذهان البشر لمجيئه تارة بالرموز وتارة بالنبوات ... ولا عجب فى ذلك فالمسيح هو هدف الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره : وهو البؤرة التى تتجمع فيها أشعة الوحى الإلهى ، وتنعقد عليها نبوات الأنبياء .

والكتاب المقدس فى عهده القديم ملىء بالرموز التى تشير إلى شخص المسيح ، سواء كانت تلك الرموز أشخاصاً مثل آدم وإسحق ويوسف وموسى وغيرهم ، أو كانت خليقة غير عاقلة مثل خروف الفصح والعليقة والمن والصخرة فى البرية والحية النحاسية وخيمة الاجتماع بمشتملاتها ومحتوياتها ، أو كانت طقوساً خاصة تمارس حسب الشريعة كطقوس الذبائح وتطهير الأبرص مثلاً ... هذه نسوقها كمجرد أمثلة .

وجدير بالذكر أن اثبات لاهوت المسيح لا يستند إلى آية واحدة فى الإنجيل المقدس ، بحيث إذا اسقطت هذه الآية أو اثيرت حولها الشكوك ، زالت صفة الألوهة عن المسيح !! لكن حقيقة لاهوت المسيح ثابتة راسخة فى الكتاب المقدس كله من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا ...

ولاهوت المسيح ليست بدايته العهد الجديد ولا مجىء المسيح وتعليمه . بل إن الإشارة إليه تبدأ مع بداية الكتاب المقدس ... منذ آدم !! إن موضوع لاهوت المسيح تمتد جذوره متشعبة وبعمق فى العهد القديم ، فى النبوات التى تنبأت عن المسيح ... عن ميلاده وملابساته وحياته ومعجزاته وآلامه ووظائفه والقابه وتلاميذه وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء ... إلخ . والحق إن السيد المسيح هو الذى فتح الأذهان ولفت الأنظار إلى ما يتعلق بشخصه فى أسفار العهد القديم ...

لقد حضّ السيد المسيح اليهود على تفتيش أسفارهم المقدسة لأنها تشهد له «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى تشهد لى» (يو ٥ : ٣٩) ... وفى حديث المسيح إلى تلميذى عمواس عشية قيامته المجيدة ، نراه يوّجه نظرهم إلى هذه الحقيقة فيقول لهم « أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع

ما تكلم به الأنبياء . أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده . **ثم ابتدأ من موسى وجميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب** » (لو ٢٤ : ٢٥ - ٢٧) .

ومرة ثانية يقول السيد المسيح لتلاميذه مجتمعين عقب قيامته **« لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب »** (لو ٢٤ : ٤٤) . وفيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، الذى آمن على يديه الخصى الحبشى وزير كنداكية ، التقى به فيلبس فى عربته ، ووجده يقرأ سفر أشعياء النبى « فابتدأ من هذا الكتاب وبشره بالرب يسوع » (أع ٨ : ٣٥) .

والآن نقدم أمثلة من هذه النبوات :

أ - نبوات عن خلقة العالم بالمسيح الكلمة :

يقول المزمور « **بكلمة الرب صُنعت السموات ، وبنسمة فيه كل جنودها** » (مز ٣٣ : ٦)... وكلمة الرب هنا تعنى المسيح ابن الله ... جاء فى فاتحة إنجيل يوحنا « فى البدء **كان الكلمة ،** والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء (منذ الأزل) عند الله . **كل شىء به كان . بغيره لم يكن شىء**

مما كان » (يو ١ : ١ - ٣) ... و يقول بولس الرسول « بالإيمان نفهم أن العالمين اتقنت بكلمة الله » (عب ١١ : ٣) . و يقول أيضاً « فإن فيه خلق الكل ، ما فى السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق » (كو ١ : ١٦) .

ب - نبوءة عن تجسده الطاهر :

هذه النبوءة قالها الله للحية ، وآدم ما يزال فى الجنة بعد سقوطه بالخطية « وأضع عداوة بينك و بين المرأة ، وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسكِ وأنتِ تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) ... و يقول بولس الرسول فى إتمام هذه النبوءة « ولما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة » (غل ٤ : ٤) .

جـ - نبوءات عن مجيئه وميلاده :

+ نبوءة عن مجيئه من نسل إبراهيم : قال الله لإبراهيم « أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء . وكالرمل الذى على شاطىء البحر... ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٧ ، ١٨) ... هذه النبوءة تكررت

لإسحق ويعقوب وتمت فى المسيح ، كما جاء فى **فاتحة إنجيل** متى « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن دواد بن إبراهيم » (مت ١ : ١٠) .. وقال بطرس الرسول لليهود بعد شفاء مقعد باب الهيكل **الجميل** « أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به **الله** آباءنا **قائلاً لإبراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض** » (أع ٣ : ٢٥) .

+ **نبوءة عن مجيئه من نسل يهوذا :** قال يعقوب أب الأسباط **وهو** يبارك يهوذا ولده قبيل موته « لا يزول قضيب من **يهوذا ومشترع** من بين رجليه **حتى يأتى شيلون** وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ... و يؤكد بولس الرسول أن هذه النبوءة خاصة بالمسيح ، فيقول « **فإنه واضح أن** ربنا **قد طلع من سبط يهوذا** » (عب ٧ : ١٤) ... و يقول سفر الرؤ يا « هوذا **قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود** » (رؤ ٥ : ٥) ... **ومعنى** شيلون صانع السلام وهى تنطبق على المسيح ملك السلام وصانع السلام بين السماء والأرض .

نبوءة عن مجيئه من نسل داود : يقول إشعياء **النبى** « ويخرج **قضيب** من جزع يسى (والد داود النبى) **وينبت غصن من أصوله** » (إش ١١ : ١) والقديس بولس فى كلامه **أمام** اليهود فى **المجمع** اليهودى بأنطاكية بيسيدية ، يذكر إتمام هذه النبوة فى

شخص المسيح (أع ١٣ : ٢٢ ، ٢٣) كما يشير إلى هذا الأمر فى رسالته إلى أهل رومية (رو ١٥ : ١٢) .

نبوءة عن ميلاده من عذراء : يقول إشعياء النبى قبل مجىء المسيح بنوح ٧٥٠ سنة « يعطيكم السيد نفسه آية . **ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل ... لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرياسة على كتفيه . ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام .** لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها و يعضدها بحق والبر من الآن إلى الأبد » (إش ٧ : ١٤ ؛ ٩ : ٦ ، ٧) ... **وقد أشار متى فى إنجيله إلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح (مت ١ : ٢٢ ، ٢٣) ... وظل إشعياء يراقب ويطلب سرعة مجىء هذا الشخص الإلهى الذى تنبأ عنه والذى يولد من عذراء ، فقال مناجياً الله « ليتك تشق السموات وتنزل » (إش ٦٤ : ١) ...** وكان داود النبى قبل إشعياء قد تنبأ . فقال **« طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه »** (مز ١٨ : ٩) .

+ **نبوءة عن موعد مجيئه :** قال دانيال النبى « سبعون إسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم . وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوءة

ولمسح قدوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤) ... والمقصود بالسبعين إسبوعاً سبعون اسبوع سنين (٧٠ × ٧ = ٤٩٠ سنة) . و بالفعل بالمقارنة بالتواريخ المدنية والدينية أن المسيح ظهر فى آخر هذه المدة وأسلم إلى الموت كخاطىء ... وقبل هذا الكلام قال دانيال متنبئاً « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه **فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقص** » (دا ٧ : ١٣ ، ١٤) .

+ **نبوءة عن مكان مولده** : يقول ميخا النبى « **أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكونى بين الوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل** » (ميخا ٥ : ٢) .

+ **نبوءة عن مجىء المجوس وسجودهم للمسيح وتقديم هدايا له** : يقول المرتل « ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة . ملوك شَبَا وسبأ **يقدمون هدية و يسجد له كل الملوك** » (مز ٧٢ : ١٠ ، ١١) و يقول داود النبى كذلك « **لك تقدم ملوك هدايا** » (مز ٦٨ : ٢٩) .

د ـ نبوءات عن حياته وصفاته ورسالته ومعجزاته :

لقد تنبأ العهد القديم عن كثير من ظروف حياة السيد المسيح وشخصيته ... ونقدم لمحات من بعض هذه النبوءات :

+ قال إشعياء النبى « ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق . كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتاليم ، يُكْرِم الأخيرُ طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون فى أرض ظلال الموتِ أشرق عليهم نورٌ » (إش ٩ : ١ ، ٢) ...

وقد أشار القديس متى الإنجيلى إلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح « ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسْلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة وأتى فسكن فى كفر ناحوم التى عبر البحر فى تخوم زبولون ونفتاليم . لكى يتم ما قيل باشعياء النبى القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمة ابصر نوراً عظيماً . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور » (مت ٤ : ١٢ - ١٦) .

+ وتنبأ موسى النبى عن مجىء السيد المسيح ومركزه واشرنا إلى ذلك قبلاً حينما أجبنا على سؤال لماذا دعا المسيح ذاته فى

بعض المواضع نبياً ... نعود إلى هذه النبوة . يقول موسى « يقيم لك (إسرائيل) الرب إلهك نبياً من وسطك من اخوتك ، مثلى له تسمعون ... اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلم بكل ما أوصيته به . و يكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه » (تث ١٨ : ١٥ - ١٩) ... **كان اليهود يعرفون هذه النبوءة جيداً التى سجلها موسى نبيهم الأول وكانوا يعلمون أنها تخص شخص المسيح له المجد .... لذا نجد بطرس الرسول بعد معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل يوجه كلامه إلى الشعب اليهودى المحتشد فى الهيكل ويقول** « توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، **ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل** . الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء . التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . **فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون ان كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب . وجميع الأنبياء أيضاً صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وانبأوا بهذه الأيام** » (أع ٣ : ١٩ - ٢٤) ... وواضح من كلام بطرس الرسول أن ذاك الذى بخصوصه تنبأ موسى كان هو الرب

يسوع المسيح وأوضح أيضاً فى كلامه لليهود أنه لا يقدّم لهم مفهوماً جديداً ، بل ما يعرفونه جيداً من أن هذه النبوءة تخص شخص المسيح .

وفيما يختص بهذه النبوءة نود أن نوضح بعض النقاط ... إذا كانت هذه النبوءة تشير إلى المسيح فلماذا يدعوه « نبياً مثلى » ، كما يقول « نبياً من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون » ...

سبق أن شرحنا قبل ذلك لماذا أشير فى بعض المواضع إلى أن المسيح يدعى نبياً ... وقوله « نبياً من وسطك » أى من بنى إسرائيل حيث أنهم خاصة المسيح ... أما قوله « مثلى » فلان « موسى مشرّع ، سلّم بنى إسرائيل شريعة العهد القديم ، والمسيح له المجد أيضاً اعطى شريعة العهد الجديد شريعة الكمال . فموسى من هذه الناحية يرمز إلى السيد المسيح حيث أن كلاً منهما أعطى شريعة ... وعلى أية الحالات فقد كان موسى رمزاً للمسيح من أوجه كثيرة ، واعطاء الشريعة واحد منها ...

+ وعن صفة الوداعة فى شخص المسيح ، يقول إشعياء النبى « هوذا عبدى (للتواضع إذ أن المسيح أخلى نفسه وأخذ صورة عبد ـ فى ٢ : ٧) الذى أعضده ، مختارى الذى سرّت به نفسى .

وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يُسمع فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يُطفىء . إلى الأمان يُخرج الحق » (إش ٤٢ : ١ - ٣) . وقد أشار متى الإنجيلى إلى هذه النبوءة على أنها عن المسيح « لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل ... » (مت ١٢ : ١٤ : ٢١) .

+ وعن المسيح الراعى الصالح قال إشعياء أيضاً « على جبل عالٍ اصعدى يا مبشرة صهيون ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ، ارفعى لا تخافى . قولى لمدن يهوذا هوذا إلهك . هوذا السيد الرب بقوة يأتى ... كراعٍ يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان . وفى حضنه يحملها » (إش ٤٠ : ٩ - ١١) ... والسيد المسيح قدم نفسه كالراعى الصالح (يو ١٠) ، كما اعلن محبته للخروف الضال (لو ١٥ : ٤ - ٦) .

وعن مجىء المسيح ورسالته واعداد يوحنا المعمدان الطريق له ، قال إشعياء النبى « عزّوا عزّوا شعبى يقول إلهكم . طيّبوا قلب أورشليم ... صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا ، كل وطاء يرتفع ، وكل جبل واكمة ينخفض ، يصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً . فيُعلَنُ مجد الرب ، ويراه كل بشر معاً ، لأن فم الرب تكلم » (إش ٤٠ :

١ ـ ٥) ... وإلى هذه النبوءة أشار كل من القديس مرقس والقديس لوقا فى إنجيليهما (مر ١ : ١ ـ ٣ ؛ لو ٣ : ٢ ـ ٦) .

+ وعن معجزات الشفاء المتنوعة التى أجراها المسيح ، قال إشعياء النبى « حينئذ تنفتح عيون العمى ، وآذان الصم تنفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالايل و يترنم لسان الأخرس ... ومفديو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد » (إش ٣٥ : ٥ ـ ١٠) .

+ وعن سلطان المسيح وملكوته ، تنبأ دانيال النبى قائلاً « كنت أرى مرة رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول . وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ : ١٤) .

+ و يكتب هوشع النبى متنبئاً عن هربه إلى مصر من وجه هيرودس « لما كان إسرائيل غلاماً احببته . ومن مصر دعوت إبنى » (هو ١١ : ١) ... وإلى إتمام هذه النبوءة فى شخص المسيح اشار متى الإنجيلى (مت ٢ : ١٤ : ١٥) .

+ وعن ازلية المسيح إبن الله وصفاته ورسالته يقول سليمان الحكيم عن الحكمة (المسيح المُذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم كو ٢ : ٣) . « منذ الأزل مسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض ... لما ثبتّ السموات كنت هناك أنا ... لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه . لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً ... طوبى للذين يحفظون طرقى ... من يجدنى يجد الحياة » (أم ٨ : ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥) - كما يقول « العل الحكمة لا تنادى ... لكم أيها الناس انادى ... هلموا كلوا من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها » (أم ٨ : ١ ، ٤ ؛ ٩ : ٥) .

هكذا نادى المسيح المتعبين والثقيلى الاحمال ليريحهم (مت ١١ : ٢٨) ... « وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً : إن عطش أحد فليُقبل إلىّ ويشرب . ومن آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماءَ حىّ » (يو ٧ : ٣٧ ، ٣٨) .

+ وتنبأ سليمان فى سفر النشيد عن اكليل الشوك الذى تكلل به المسيح على الصليب ، فيقول بروح النبوة « اخرجن يا بنات صهيون ، وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه ، وفى يوم فرح قلبه » (نش ٣ : ١١) - وبنات صهيون

هنّ بنات أورشليم اللائى اجتمعن على الطريق يبكين عليه « يا بنات أورشليم لا تبكين علىَّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن » والعريس ليس هو سليمان . ففضلاً عن أن هذا لم يحدث ، فالله يقول بلسان إشعياء النبى « لأن بعلكِ (زوجكِ ، عريسكِ) هو صانعكِ رب الجنود إسمه » (إش ٥٤ : ٥) . وأمه هى الأمة اليهودية !!

هـ - نبوءة عن رفض اليهود له :

يقول المرتل « **الحجر الذى رفضه (رذله) البناؤون قد صار رأس الزاوية** . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » (مز ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣) . وقد اكد السيد المسيح فى مثل الكرم والكرامين أن هذه النبوءة إنما قد تمت فيه (مت ٢١ : ٤٢)... كما طبقّ بطرس الرسول هذه النبوءة على المسيح فقال « فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة ، وأما للذين لا يطيعون ، فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية » (١بط ٢ : ٧)... كما استشهد بطرس الرسول بهذه النبوءة أيضاً اثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة عقب معجزة شفاء مقعد باب الهيكل الجميل . قال « إن كنا نفحص اليوم عن إحسانٍ إلى إنسان سقيم بماذا شفى هذا . فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع

المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم ، الذى أقامه الله من الأموات ، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً . هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزواية . وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس إسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ٩- ١٢) .

و- نبوءات عن آلام المسيح :

أما عن آلام المسيح ، فما أكثر النبوءات التى قيلت عنها نقتطف منها الآتى :

يقول داود النبي فى مزمور ٢٢ :

مزمور ٢٢	الإنجيل
+ إلهى إلهى لماذا تركتنى (٢٢ : ١) .	+ صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إلهى إلهى لماذا تركتنى (مت ٢٧ : ٤٦) .
+ عليك إتكل آباؤنا . إتكلوا فنجيتهم (٢٢ : ٤) .	+ قد إتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده (مت ٢٧ : ٤٣) .

+ أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب (٢٢ : ٦) .

+ الذى كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون وهم يجلدونه . وغطوه ، وكانوا يضربون وجهه و يسألونه قائلين تنبأ من هو الذى ضربك (لو ٢٢ : ٦٣ - ٦٥ مع يو ١٩ : ٩ - ٢٢) .

+ كل الذين يروننى يستهزئون بى . يغفرون الشفاة و ينغضون الرأس قائلين إتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سُرّبه (٢٢ : ٧ ، ٨) .

+ وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم ... وكذلك رؤساء الكهنة وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا قد إتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده ... (مت ٢٧ : ٣٩ - ٤٤ مع لو ٢٣ : ٢) .

+ لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب لأنه لا معين (٢٢ : ١١) .

+ يا أبتاه فلتعبر عنى هذه الكأس ... اهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟ (مت ٢٧ : ٣٩ ، ٤٠) .

فتركه الجميع وهربوا (مر ١٤ : ٥٠) .

+ أحاطت بى ثيران كثيرة . أقوياء باشان إكتنفتنى (٢٢ : ١٢) .

+ ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه (يو١٨ : ١٢) .

+ يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى (٢٢ : ١٥) .

+ فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان (يو ١٩ : ٢٨) .

+ ثقبوا يدى ورجلى (٢٢ : ١٦) .

+ ولما مضوا به إلى الموضع ... صلبوه هناك مع المذنبين (لو٢٣ : ٣٣) .

+ وهم ينظرون و يتفرسون فىَّ (٢٢ : ١٧) .

+ وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء ... يسخرون به .

+ يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون (٢٢ : ١٨) .

+ هكذا فعل الجند واقترعوا على قميصه (يو ١٩ : ٢٣ ، ٢٤) .

وواضح أن هذا المزمور بما حواه من الفاظ تدل على الآلام وثقب اليدين والرجلين لا ينطبق على داود فداود مات موتاً طبيعياً على فراشه وبين ذويه ، وأما الذى أقتسمت ثيابه حين صُلب والقيت القرعة على قميصه المنسوج بغير خياط فهو المسيح . ثم أن داود فى عظمته كملك فى فلسطين كانت الملوك تخطب وده ، وأما المسيح فكان عاراً عن البشر ومحتقر الشعب لأنه اخلى نفسه من مجده وأخذ صورة عبد ومات على الصليب لفدائنا . هذه النبوات نجد اتمامها حرفياً ونقرأ عن ذلك فى (مت ٢٧ ؛ مر ١٤ ؛ لو ٢٢ ، ٢٣ ؛ ويو ١٨ ، ١٩) .

● **ويقول داود فى مزمور ٦٩ بروح النبوة :**

« **يبس حلق** ... أكثر من شعر رأسى **الذين** يبغضوننى بلا سبب ... **لأن من اجلك احتملت العار**. غطى الخجل (الخزى) وجهى صرت أجنبياً عند إخوتى (اليهود) ، وغريباً عند بنى أمى . **لأن غيرة بيتك أكلتنى** ، وتعييرات معيريك وقعت علىَّ ... العار قد كسر قلبى ... يجعلون فى طعامى علقماً ، **وفى عطشى يسقوننى خلاً** » .

غيرة بيتك أكلتنى (أنظر يو ٢ : ١٤ - ١٧) - **وفى عطشى**

سقونى خلاً (أنظر ٢٧ : ٤٨ ؛ مر ١٥ : ٣٦) .

● وفى مزمور ٤٠ : ٦ - ٨ يقول داود أيضاً بروح النبوة :

« بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ أذنىَّ فَتَحْتَ (ثقبت). محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت هنذا جئتُ. بدرج الكتاب مكتوب عنى. ان أفعل مشيئتك يا إلهى سررتُ وشريعتك فى وسط احشائى »... ويستشهد القديس بولس الرسول بهذه النبوءة وأنها تخص المسيح فيقول « لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ، ولكن هيأت لى جسداً » (عب ١٠ : ٥) ... والمقصود من عبارة « هيأت لى جسداً » - أى جسداً يقدم ذبيحة كفارية . والقول « ثقبت (فتحت) اذنىّ ، يعيد إلى أذهاننا ما جاء فى (خروج ٢١ : ٥ ، ٦) عند العبد الذى يخصص نفسه لخدمة سيده إلى النهاية . هكذا المسيح له المجد بارادته ومسرته « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) . وأحبنا وخصص ذاته لفدائنا ، وأرتضى أن تثقب اذنه ، بل يداه ورجلاه وجبينه . وكل ذلك تم خارج الباب ... باب أورشليم (عب ١٣ : ١٢) .

●فإذا اتينا إلى نبوات إشعياء نجدها كثيرة وفى غاية الوضوح :

+ « بذلت ظهرى للضاربين وخدىَّ للناتفين . وجهى لم استر عن العار والبصق » (إش ٥٠ : ٦) . وقد تمت هذه النبوة فى المسيح « حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك » (مت ٢٦ : ٢٧) « ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام ... » (يو ١٨ : ٢٢) ... « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ... وكانوا يلطمونه » (يو ١٩ : ١ - ٣) .

+ من صدّق خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب ... لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه محتقر ومخذول من الناس . رجل اوجاع ومختبر الحزن ، وكمُستَّرٍ عنه وجوهُنَا . محتقر فلم نعتد به . لكن احزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه . وبحُبُره (جراحاته) شفينا . كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفى جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى . وجُعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند

موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غشٌ . أما الرب فَسُرَّ بأن يسحقه بالحزن . إن جعل نفسه ذبيحة إثم ... سكب للموت نفسه وأُحصى مع أثمةٍ . وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين (إش ٥٣ : ١ - ١٢) .

« **من صدّق خبرنا** » ... فى (أش ٥٢ : ١٥) تنبأ النبى عن قبول الأمم لإنجيل المسيح هم وملوكهم ، وعن فرحهم به ... أما هنا فالنبى فى دهشة يتنبأ عن عدم إيمان اليهود بالمسيح مع معرفتهم التامة لنبوات العهد القديم كلها ... وفى ذلك يكتب يوحنا فى إنجيله « ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبى الذى قال : يارب من صدّق خبرنا ولمن استُعلنت ذراع الرب » (يو ١٢ : ٣٧ ، ٣٨) ... و يشير الرسول بولس فى اسف من عصيان اليهود بقوله « لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول : يارب من صدّق خبرنا » (رو ١٠ : ١٦) .

وقول النبى « **ولمن استعلنت ذراع الرب** » تشير إلى أن الذين رفضوا المسيح والإيمان به لم يعلموا أن ذراع الرب استعلنت لهم وذلك لعماهم الروحى ، مع أن ذراع الرب ظهرت فى معجزات وعجائب المسيح التى صنعها بقوته الإلهية . ومع ذلك

نسب اليهود تلك القوة إلى بعلزبول رئيس الشياطين !! كان اليهود فى حالة إنتظار لمجيء المسيح المخلص ، لكنهم انتظروه آتياً فى أبهة جسدية ليطرد من أورشليم المستعمر الغاصب (الرومان) . وهكذا خابت آمالهم فيه . كانوا فى عبودية جسدية وروحية . ومع ذلك لم يفكروا إلاَّ فى التحررّ من العبودية الجسدية !! ولم يفهموا كلمات المسيح أن العبودية الحقيقية هى العبودية للشر والخطية !!

« **وكمسترٍ عنه وجوهنا** » ... كان النبى يتكلم بلسان نبى إسرائيل إن عيونهم قد حُجبت عن مجد الرب يسوع فاحتقروه لأن برقع الخطية الذى كان يغطى وجوههم وأفكارهم وقلوبهم قد ستره عنهم وسترهم عنه .

« **ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله مذلولاً** » « وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلِّص نفسك . إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا . خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به قد إتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده . لأنه قال أنا ابن الله » (متى ٢٧ : ٣٩-٤٣ ؛ أنظر مرقس ١٥ : ٢٨-٣٢ ؛ لوقا ٢٣ : ٣٥-٣٧) .

« **وجُعِلَ مع الأشرار قبره . ومع غنى عند موته »**... كان من المنتظر أن المسيح يدفن مع اللصين اللذين صلبا معه فى حفرة واحدة فى ذات محل الصليب حسب عادة الرومان . لكن العناية الإلهية دبرت يوسف الرامى ذلك الرجل الغنى ليدفنه فى قبر جديد كان قد اعده لنفسه (يو ١٩ : ٣٨) .

هكذا نرى أن هذه النبوءة بتمامها تمت فى شخص المسيح ... وفيلبس المبشر الذى عمدّ الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة ، سُئل من الوزير « عن من يقول النبى هذا ، عن نفسه أم عن واحد آخر . ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب (أشعياء) فبشره بيسوع » (أع ٨ : ٢٦ - ٣٥) .

• وتنبأ زكريا النبى عن خيانة يهوذا الاسخريوطى واخذه ثلاثين من الفضة من الكهنة ورؤسائهم مقابل تسليمه سيده ، وما انتهى إليه أمره فيقول : « فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطونى اجرتى وإلاَّ فامتنعوا . فوزنوا إجرتى ثلاثين من الفضة . فقال لى الرب القها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة والقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب » (زك ١١ : ١٢ ، ١٣) ... وقد تمّ ذلك حرفياً ... يقول متى الإنجيلى « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه

قد دين ، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً : قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . فقالوا ماذا علينا . أنت أبصر فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف . ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء . لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم (مت ٢٧ : ٣ - ٨) .

ز - نبوءات عن المسيح الممجد :

● يقول داود النبى فى **المزمور الثانى** - وهو مزمور خاص بالمسيح الممجد ... « لماذا ارتجت **الأمم** وتفكر الشعوب فى **الباطل** . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب **وعلى مسيحه** ، قائلين لنقطع اغلالهما ولنطرح **عنا** نيرهما . الساكن فى السموات يضحك ، والرب يستهزىء بهم . حينئذ يكلمهم بغضبه وبرجزه يقلقهم . أما أنا فقد **مسحت** على صهيون جبل قدسى . **إنى** أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى **أنت إبنى** . أنا اليوم ولدتك . اسألنى **فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض مُلكاً لك** . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزّاف تكسرهم ، فالآن يا **أيها** الملوك تعقلوا . **تأدبوا** يا **قضاة الأرض** . **اعبدوا** الرب

بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » .

فى هذا المزمور نرى أسماء المسيح : مسيح ، إبن الله ، ملك الملوك ...

ولقد تم هذا المزمور بنبوءاته فى مخلصنا ... وقد أشار إلى ذلك الرسل فى صلاتهم عقب شفاء مقعد باب الهيكل الجميل ... « أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . القائل بفم داود فتاك : لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودس و بيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ، ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون » (أع ٤ : ٢٤ - ٢٨) .

كما يؤكد القديس بولس الرسول أن هذا المزمور نبوءة عن السيد المسيح . ففى خطابه فى المجمع اليهودى فى انطاكية بيسيدية قال ... « إن الله اكمل هذا لنا نحن أولادهم ، إذ أقام يسوع كما

هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى أنت إبنى أنا اليوم ولدتك ... » (أع ١٣ : ٣٣) ... وكما يقول بولس أيضاً فى العبرانيين « **لأنه لمن** من الملائكة قال قط أنت إبنى أنا اليوم ولدتك » (عب ١ : ٥) .

● ويقول داود النبى فى (مز ٢٤ : ٧ - ١٠) ... « **ارفعوا أيها** الملوك أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية **ليدخل ملك المجد .** من هو هذا ملك المجد . الرب القدير الجبار . الرب الجبار فى الحروب » ... **هذا المزمور نبوءة عن قيامة الفادى . ولذا** تستخدمه الكنيسة فى تمثيلية القيامة فى قداس ليلة عيد القيامة .

● ويقول داود أيضاً بروح النبوءة فى (مز ٤٥) ... « **فاض** قلبى بكلام صالح ... أنت أبرع جمالاً من بنى البشر ... **تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار** ... الشعوب تحتك يسقطون . **كرسيك يا الله إلى دهر الدهور .** قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك . احببت البرّ وابغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك ... » .

ويشير بولس الرسول فى العبرانيين إلى هذه النبوءة وأنها تمت فى المسيح فيقول « **أما عن الابن ، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور .** قضيب استقامة قضيب مُلكك . **احببت البر وابغضت**

الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج اكثر من شركائك » (عب ١ : ٨ ، ٩) ... ولذا رتبت كنيستنا القبطية أن يقال بعض كلمات هذا المزمور فى اسبوع البصخة وترتل بلحن رائع ⲠⲈⲔ ⲐⲢⲞⲚⲞⲤ فى الساعة الحادية من يوم ثلاثاء البصخة ، والساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة .

يقول داود النبى فى (مز ١١٠) ... « **قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك** ، عصا قوة يرسل لك الرب من صهيون وتسود فى وسط اعدائك . معك الرياسة فى يوم قوتك فى بهاء القديسين . أقسم الرب ولن يندم أنك **أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق** . الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكاً . يقضى بين الأمم ويملأهم جثثاً » ...

ولقد أوضح السيد المسيح أن نبوءة هذا المزمور خاصة به ... قال للفريسيين « ماذا تظنون فى المسيح ، ابن من هو . قالوا له إبن داود . قال لهم **فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك** . فإن كان داود يدعوه بالروح رباً فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (مت ٢٢ : ٤٢ - ٤٥) .

وبطرس الرسول فى عظة يوم الخمسين يثبت أن نبوءة داود هذه كانت عن المسيح فيقول ... «**لأن داود لم يصعد إلى السموات ، وهو نفسه يقول قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك**. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا التى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» (أع ٢ : ٣٤- ٣٦) .

وقد تنبأ زكريا النبي عن دخول السيد المسيح إلى أورشليم دخول الظافرين ، واستقبال الشعب له بسعف النخيل ، والهتافات الدالة على شخصيته .... قال «ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملككِ ياتى إليكِ . وهو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش إبن أتان» (زك ٩ : ٩)... وقد تمت هذه النبوءة حرفياً فى السيد المسيح يوم دخوله مدينة أورشليم . فلقد دخل إليها دخول الملوك الظافرين ، لكنه كان وديعاً راكباً على حمار وعلى جحش . كانت هتافات الشعب اليهودى تدوى «اوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . أوصنا فى الأعالى . مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب ... كل ذلك جعل بعض الفريسيين يعترضون وقالوا للمسيح «يا معلم انتهر تلاميذك» فاجاب وقال لهم «**أقول لكم إنه إن سكت**

هؤلاء فالحجارة تصرخ » (مت ٢١ : ١ - ١١ ؛ مر ١١ : ١ - ١٠ ؛ لو ١٩ : ٢٨ : ٤٠ ؛ يو ١٢ : ١٢ - ١٥) ... ومعنى قول المسيح للفريسيين « إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » ، أن الأمر من فوق وليس بارادة البشر . لأنه من ذا الذى يستطيع أن يجعل الحجارة تنطق ؟!

هذه مجرد عينات من النبوءات التى تمتلىء بها أسفار العهد القديم ، والتى تنبأ بها رجال الله القديسون من الأنبياء عن رب المجد يسوع المسيح ... ولا يسعفنا الوقت أن نقدم كل شىء فى مثل هذه العظات ، فهناك كتب كثيرة مليئة بهذه النبوات .

وقبل أن ننتقل إلى النقطة الإيجابية الثانية فى موضوعنا الخاص باثبات ألوهية السيد المسيح ، نشير إلى ثلاثة إدعاءات يثيرها بعض ممن لا يؤمنون بلاهوت المسيح نلخصها فى الآتى :

١ - ادعاء يقول ان نبوات العهد القديم التى أوردناها وغيرها خاصة بالسيد المسيح لا تخصه إنما تخص شخصاً آخر . ورداً على ذلك نقول إن نبوات العهد القديم تنطبق انطباقاً تاماً على السيد المسيح دون سواه كولادته من عذراء وتقدمات المجوس له وهربه إلى

مصر ومعجزاته الخارقة وأعماله ودخوله أورشليم يوم أحد الشعانين ، والكلام عن آلامه بتفصيل عجيب كثقب يديه ورجليه وحتى الاقتراع على قميصه ، مما لا ينطبق على سواه بحال من الأحوال .

٢ - ادعاء بأن سفر إشعياء النبي لم يعتبره اليهود سفراً قانونياً مقدساً ولم يسلموه للنصارى إلاَّ سنة ٩٠م!! وواضح أن هذا الادعاء سببه النبوات الكثيرة والواضحة جداً التي حواها هذا السفر... لكن نشكر الله أن الاكتشافات المعاصرة أغنتنا مؤونة الرد على هذا الادعاء ... ففي سنة ١٩٤٧ عثر في مكان يدعى خربة قمران قرب البحر الميت على مخلفات جماعة عاصرت المسيح عاشت فيه عرفوا باسم الاسينيين . ومن بين مخلفات هذه الجماعة سفر إشعياء النبي كاملاً ، يرجع تاريخه إلى سنة ٢٠٠ ق.م، ويعتبر اقدم نسخة لهذا السفر في العالم . ولقد احدث اكتشاف هذا المخطوط وغيره دوياً هائلاً في الأوساط العلمية في العالم . فمن يجرؤ بعد ذلك على التشكيك في قانونية هذا السفر؟!

الادعاء بأن السيد المسيح لم ينسب الألوهة إلى نفسه ، بل ان هذا كان من صنع بولس الرسول ... ونحن نقول إن الإيمان بألوهة المسيح ليس من صنع بولس ، وليس من صنع المسيحيين ، لكنه اعلان المسيح عن ذاته كما سبق أن اشرنا ،

وكما سوف يأتي فى كلامنا ... وإذا ثبت أن الأمر هكذا وكما قال المسيح ، وكما يعتقد المسيحيون فإن الأمر لا يعدو أحد احتمالين : إما أن يكون المسيح نبياً وإنحرف عن دعوته ورسالته واعتز بذاته وادعى لنفسه ما ليس له . وفى هذه الحالة يكون كاذباً ومضلاً . وإما أن يكون صادقاً وجديراً بما نادى به ... لكن كيف ينحرف المسيح عن دعوته و يتخطى حدود رسالته إن كان الله قد انقذه لغاية معينة ؟ هل الله أساء اختياره إن كان هو مجرد نبي ؟!! ومن من الأنبياء القدامى الصادقين انحرف عن حدود نبوته ؟! ... ثم إن كان قد ادعى الألوهة وهو كاذب وماكر، فلماذا أيده الله بالعجائب والمعجزات ؟!

نأتى إلى الادعاء بأن بولس الرسول هو الذى خلع الألوهة على المسيح ونقول :

+ بولس الذى يُدّعى أنه هو الذى بذر بذرة ألوهة المسيح لم يؤمن بالمسيح إلاَّ بعد نحو سبع سنوات من قيام المسيحية . وكان خلال تلك السنوات يضطهد الكنيسة بافراط ، وكم جرّ من المسيحيين إلى السجون . وكان شريكاً فى مقتل استفانوس أول شهداء المسيحية . بولس هذا عرف المسيح بعد نحو سبع سنوات من قيام المسيحية ، وكان الرسل فى تلك السنوات يكرزون بالمسيح

« الكلمة الذى صار جسداً » ، « القدوس » ، « الذى به كان كل شىء و بغيره لم يكن شىء مما كان » ، « وإنه ليس بأحد غيه الخلاص » (أنظر سفر أعمال الرسل ص ٢ إلى ص ٨) . بل لقد استشهد استفانوس أول شهيد مسيحى من أجل هذا الإيمان . وفيما كان يرجمه اليهود صلى قائلاً : « أيها الرب يسوع أقبل روحى » (أع ٧ : ٥٦ - ٥٩) .

بولس لم يكرز بإيمان اخترعه من عندياته بل مما تسلمه من الرسل الذين سبقوه فى الرسولية وتتلمذوا على يدى السيد المسيح نفسه - أى تسلمه من الكنيسة ... وهذا ما نسميه بالتسليم الرسولى ... فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ص ١٥ يقول بولس الرسول « واعرفكم أيها الاخوة بالانجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه ، وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به ... فإننى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب . وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب . وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر ، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل اجمعين . وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً لأنى اضطهدت كنيسة الله .

ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاه لى لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى، فسواء أنا أم أولئك هكذا تكرز وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥ : ١١ - ١١).

وفى (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٥) يتكلم بولس عن أهم ممارسة فى الكنيسة المسيحية وهو الافخارستيا (العشاء الربانى) ويقول « لأنى تسلمتُ من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر، وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هى للعهد الجديد بدمى. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى » ... وواضح من هذا الكلام أن بولس يشير إلى التسليم الرسولى ... ما الفرق بين كلام بولس عن العشاء الربانى هنا وبين ما ذكره كل من متى ومرقس ولوقا ...

وفى (١ كو ٧ : ١٠) يقول بولس الرسول « وأما المتزوجون فأوصيهم - لا أنا بل الرب - أن لا تفارق المرأة رجلها » ... الرب هنا تعنى المسيح هكذا يقول ذهبى الفم. إنه يذكرهم بكلمات المسيح عن عدم تطليق الزوجة إلاَّ بسبب الزنا (مت ٥ : ٣٢، ١٩ : ٩؛ مر ١٠ : ١١؛ لو ١٦ : ١٨) - ولذا يقول بولس - لا أنا - بل الرب ...

و يعوزنا الوقت إن نحن اتينا على كل تعاليم بولس الرسول التى هى ليست شيئاً آخر سوى تعاليم المسيح نفسه ... إن ذلك يحتاج إلى بحث طويل .

وفى معرض ردنا على الادعاء بأن بولس هو الذى خلع على المسيح صفة الألوهة ، وبذر بذرتها وصادفت تلك البذرة أرضاً خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية نقول إن المسيحية فى بدايتها لم تعرف طريقها الى الفلاسفة . كان إنتشار الدعوة إلى الإيمان المسيحى فى بدء المسيحية ينتشر أساساً بين الطبقات الفقيرة والكادحة التى كانت معتبرة كما مهملاً فى العالم القديم ، سواء فى اليهودية أو الوثنية . وكانت الكنيسة المسيحية تُعنى بهؤلاء المؤمنين الجدد من الفقراء والمعدمين ، حتى أنها أقامت سبعة شمامسة كل عملهم خدمتهم من ناحية وجبات الطعام التى سميت « لخدمة الموائد » (أع٦ : ١-٦) .

والمسيح نفسه حرص منذ البداية على اختيار رسله وتلاميذه من المعتبرين جهلاء واميين . وفى ذلك يقول بولس « اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء . واختار الله ادنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ، لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧ - ٢٩) ...

ولنتأمل كلمة «اختار» التى يكررها بولس . والاختيار دائماً يكون بين شيئين أو أكثر. ومعنى ذلك أن العلماء والفلاسفة كانوا موجودين لكن المسيح لم يفكر فى اختيارهم بل اختار الجهلاء والفقراء والضعفاء . أما السبب فى اختيار امثال هذه العناصر الضعيفة فلكى لا يكون انتشار المسيحية بفضل فصاحتهم وعلمهم ، بل بفضل قوة الله «ليكون فضل القوة لله لا منا» (٢ كو٤ : ٧) .

ثم هناك نقطة أخرى فى هذا المجال تتصل ببولس نفسه . حقيقة كان بولس دارساً لعلوم عصره مقتدراً فيها . لكنه لم يستخدم فى كرازته أساليب الفلسفة والحكمة العالمية «وأنا لما أتيت إليكم أيها الاخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً بشهادة الله . لأنى لم اعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح واياه مصلوباً ... وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع (الفلسفة) بل ببرهان الروح والقوة . لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» (١ كو ٢ : ١ - ٤) .

ولعل مما يؤكد ذلك أن الفلاسفة فى بداية المسيحية كانوا ينظرون إليها كخرافة دنيئة ولذا قال جماعة منهم لبولس فى اثينا «ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول» وأنتهى الأمر باستهزائهم به (أع ١٧ : ١٨ ، ٣٢) .

ثانيـــاً

المسيح يتصف بجميع صفات الله

قال السيد المسيح له المجد « كل ما للآب هو لى » (يو ١٦ : ١٥) ... وقال فى مناجاته للآب « كل ما هو لى فهو لك . وما هو لك فهو لى » (يو ١٧ : ١٠) ... وقوله « كل ما للآب هو لى » ، يعنى أنه ليس للابن بعض ما للآب من صفات وقدرات وامكانات وإنما له « كل » ما للآب ... وهذا تصريح فى غاية الأهمية ، وفى قمة الحقائق اللاهوتية الخاصة بالطبيعة الإلهية ذاتها ، وفى بيان كمال المساواة بين الآب والابن فى الجوهر ، وفى جميع الصفات والقدرات والكمالات الإلهية ... لهذا قال الوحى الإلهى على لسان بولس الرسول عن المسيح ابن الله « الذى إذ كان فى صورة الله لم يكن يعتبر مساواته لله اختلاساً ، لكنه اخلى ذاته آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٦ ، ٧) ... وهو بعينه المعنى الذى فهمه اليهود من حوار السيد المسيح معهم . يقول يوحنا فى إنجيله « من أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه . لأنه لم ينقض السبت فقط ، بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله » (يو ٥ : ١٨) ... وعندما قال لهم « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠)

«تناول اليهود حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة اريتكم من عند أبي . بسبب أى عمل منها ترجموننى . **أجاب اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً** » (يو ١٠ : ٣٠- ٣٣) ... وعندما طالب رؤساء كهنة اليهود بيلاطس البنطى بصلبه ، قالوا له « لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت **لأنه جعل نفسه ابن الله** . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفاً » (يو ١٩ : ٧ ، ٨) .

قال السيد المسيح مخاطباً الآب « **كل ما هو لى فهو لك . وكل ما هو لك فهو لى** » (يو ١٧ : ١٠) ، وهذا يعنى أن كل ما يتصف به الآب يتصف به الابن أيضاً . والآن نستعرض بعض هذه الصفات ...

١ - أزلى أبدى :

الإنسان محدود له بداية ونهاية . له تاريخ ميلاد وله تاريخ وفاة ... لكن المسيح له المجد له ميلادان . ميلاد فى الزمان وميلاد قبل الزمان ... ميلاد فى الزمان حينما ولد من العذراء الطاهرة مريم . وميلاد قبل الزمان وهو ولادته من الآب قبل كل الدهور. وهذه هى الأزلية . المسيح ابن الله أزلى أبدى . لا بداية أيام له ، ولا نهاية حياة . وهذه الصفة يتصف بها الله وحده . الله وحده يتصف بالأزلية والأبدية . والأزلى هو وحده الأبدى .

يقول النبى فى المزمور « **منذ الأزل إلى الأبد أنت الله** » (مز

٩٠ : ٢).. و يقول حبقوق النبى «**الست أنت منذ الأزل ، أيها الرب إلهى**» (حب ١ : ١٢)... و يقول ارميا النبى «**أما الرب الإله فحق . هو إله حىّ وملك أبدى**» (ار ١٠ : ١٠) .

وقد نسب السيد المسيح إلى ذاته الأزلية ...

+ قال لليهود « أبوكم إبراهيم تهلل أن يرى يومى فرأى وفرح . فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد ، افرأيت إبراهيم . فقال لهم يسوع الحق **أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**» (يو ٨ : ٥٦ ـ ٥٨) ... والذى يعنينا هنا هو قول الرب يسوع « **الحق الحق أقول** لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ... إذن المسيح كائن قبل أن يوجد إبراهيم . فهو إذن اسبق عليه فى الزمان ، على الرغم من أن إبراهيم سبق تجسد الكلمة بآلاف السنين . الأمر الذى دهش له اليهود وقالوا له معترضين « ليس لك خمسون سنة بعد ، افرأيت إبراهيم » ونلاحظ توكيد الرب يسوع «**الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**»... وكلمة « **كائن** » لها مفهوم الكينونة الدائمة الذى لا يتصف به غير الله وحده . وفعل الكينونة هنا « أنا كائن » معناه فى اللغات القديمة العبرانية واليونانية والقبطية وغيرها «**أنا الموجود دائماً**» فى الماضى والحاضر والمستقبل... أنا الكائن فى الحاضر والكائن فى الماضى منذ الأزل ، والكائن دائماً فى المستقبل إلى الأبد... أى أنا الكائن دائماً منذ الأزل وإلى الأبد...

وحين سأل موسى الرب عن اسمه قال له هكذا تقول لبنى إسرائيل « **يهوه إله آبائكم ... أرسلنى إليكم ... هذا إسمى إلى الأبد** » (خر ٣ : ١٤ ، ١٥) ، **والمعنى الحرفى لإسم الله قديماً « يهوه » هو (الكائن دائماً) أو (الدائم)** (خر ٣ : ١٤ ، ١٥) ... نفس هذا التعبير استخدمه يوحنا الرسول عن السيد المسيح فى سفر الرؤيا « يوحنا إلى السبع كنائس التى فى آسيا نعمة لكم وسلام من **الكائن والذى كان والذى يأتى** » (رؤ ١ : ٤) . وتكرر نفس هذا التعبير ثلاث مرات فى (رؤ ٤ : ٨ ؛ ١١ : ١٦ ؛ ١٧ ؛ ١٦ : ٥) . **من الكائن أى فى الوقت الحاضر، والذى كان أى فى الماضى ، والذى يأتى أى فى المستقبل . وهذا هو المعنى الحرفى لكلمة « يهوه » فى العهد القديم ، أو « أنا كائن » التى استخدمها السيد المسيح فى العهد الجديد .**

+ قال السيد المسيح فى إحدى مناجاته للآب « والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » (يو ١٧ : ٥) ... وأيضاً « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا ، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى ، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم » (يو ١٧ : ٢٤) ... هنا لمحة ينسب فيها الرب يسوع إلى ذاته أنه كائن قبل إنشاء العالم . أى أن وجوده لم يبدأ من مريم ، منذ ظهوره بالجسد ، بل أن وجوده كائن قبل خلق الكون ، أى منذ الأزل .

و يقول السيد المسيح له المجد فى سفر الرؤ يا «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، القادر على كل شيء» (رؤ ١ : ٨) ... هذه الصفة لا يتصف بها غير الله ، حتى أنه يقول بلسان إشعياء النبى «أنا الأول والآخر، ولا إله غيرى» (إش ٤٤ : ٦) ... فكون السيد المسيح يتصف بهذه الصفة ، فإن ذلك يعنى أنه هو الله ... وفيما رواه يوحنا فى سفر الرؤ يا الأصحاح الأول نرى السيد المسيح نفسه فى صورة الإله المتأنس (شبه ابن إنسان - له كل أوصاف الناسوت . له رجلين ورأس وشعر وعينان و يدان ورجهاً ...) ... نقول ذلك لئلا يتبادر إلى الأذهان أن المتكلم مع يوحنا كان شخصاً آخر غير المسيح ... يقول له «أنا هو الأول والآخر. والحىّ وكنت ميتاً ، وها أنا حىّ إلى أبد الأبدين آمين . ولى مفاتيح الهاو ية والموت» (رؤ ١ : ١٧ ، ١٨) ... ومن هو هذا الذى كان ميتاً إلاَّ المسيح الذى صُلب على الصليب فوق الجلجثة ؟! إن رواية يوحنا فى رؤ ياه تدل فى تفصيلاتها دلالة قاطعة على أن من تكلم معه هو الرب يسوع فى الناسوت ، وأنه نسب إلى ذاته صفة الأزلية والأبدية وهى الصفة التى يتفرد بها الله وحده دون سواه .

و يكرر المسيح له المجد نفس التعبير «الأول والآخر . الألف والياء . البداية والنهاية» فى (رؤ ٢ : ٨)، (رؤ ٢١ : ٦) ؛ (رؤ

٢٢ : ١٢ ، ١٣) ... هذه التعبيرات التى تدل على أزلية المسيح وابديته وهنا ملاحظة لا بد من الإشارة إليها وهى أن الأبدية هى من صفات الله وحده . نعم يوصف الإنسان والملائكة بالخلود . لكن الخلود هو غير الأبدية ... الخلود منحه الله للكائنات العاقلة . لأنها مادامت مخلوقة فهى قابلة للفناء . فالخلود إذن منحة من الله لهذه المخلوقات وهى ليست من طبيعتها . والمسيح وصف ذاته بالأبدية على نحو ما رأينا .

٢ ـ هو الحياة ومعطى الحياة وواهبها :

الله وحده هو الحىّ بذاته ، واصل الحياة ، وواهب الحياة لجميع الكائنات . وهو ذاته الحياة ، وبه يحيا كل حىّ آخر. الله هو الحىّ دائماً . كان هو الحىّ منذ الأزل ولازال حياً ، وسيظل هو الحىّ إلى الأبد... يقول الرب الإله « انظروا الآن . أنا أنا هو وليس إله معى . أنا أُميت وأُحيى ... وأقول حىّ أنا إلى الأبد » (تث ٣٢ : ٣٩ ، ٤٠) . « حىّ أنا يقول السيد الرب » (حز ٥ : ١١)... « حىّ أنا يقول رب الجنود » (صف ٢ : ٩) « حىّ أنا يقول الرب » (إش ٤٩ : ١٨) .

هذه الصفة التى ينفرد بها الله ينسبها المسيح لذاته ... فيقول فى معجزة إقامة لعازر من الموت « أنا هو القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) ... ويقول فى موضع آخر « أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو

١٤ : ٦) ... من يجرؤ - سواء من الملائكة أو البشر - أن يقول « أنا هو الحياة » ... **إن المسيح يعلن أنه ليس حياً فقط ، بل هو الحياة عينها** . الحياة مُعرفة بأل التعريف ... و يقول لمرثا ومريم أختى لعازر « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) ... من أجل كل هذا يقول يوحنا عن المسيح فى فاتحة إنجيله « **فيه كانت الحياة** » (يو ١ : ٤) .

+ وثمة ملاحظة ثانية فى هذه النقطة :

يقول المسيح له المجد « **كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته** » (يو ٥ : ٢٦) ... **ما معنى أن المسيح له حياة فى ذاته ؟ ... المعنى أن الحياة ليست معطاة له من الخارج ، بل هى من ذاته تماماً مثل الآب** . ومعنى ذلك بالتالى أنه ليس مخلوقاً ... والفرق بين الخالق والمخلوق ، هو أن المخلوق بُعثت فيه الحياة من الله ، ولم يكن قبل ذلك حياً . أما الخالق فهو حىّ منذ الأزل والحياة فيه من ذاته .

+ وثمة ملاحظة ثالثة فى هذه النقطة أيضاً :

حينما عقد السيد المسيح مقارنة بينه و بين المنّ الذى أكله اليهود فى البرية قديماً بعد خروجهم من مصر ، ذلك المنّ الذى كان رمزاً إليه ، قال لليهود « الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من

السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيق من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إلىّ فلا يجوع. ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً» (يو ٦ : ٣٢-٣٥) ...

حينما يقول المسيح انه هو خبز الحياة، الواهب حياة للعالم، المقصود هنا أنه معطى الحياة بكل معانيها: فهو معطى الحياة بمعنى «الوجود من العدم» أى أنه الخالق الموجد وأصل الوجود.. ثم هو معطى الحياة بمعنى أنه (غذاء الحياة الروحى). وعن هذا المعنى الأخير يقول «أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (أوفر)»... لذا قال فى أسف لليهود «أنتم لا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة» (يو ٥ : ٤٠).

وثمة ملاحظة رابعة هنا وهى أن المسيح - بالاضافة إلى ما سبق - يمنح الحياة الأبدية... يمنحها لمن يؤمن به «الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية... إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يو ٦ : ٤٧، ٤٠)... «الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣ : ٣٦) ويمنحها لمن يعرفه «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧ : ٣)... وكذلك لمن يحفظ

كلامه «الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد» (يو ٨ : ٥١) ... وهو يهب الحياة الأبدية بعد أن يقيم الموتى «وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى، أن كل ما أعطانى لا اتلف منه شيئاً بل أقيمه فى اليوم الآخر. لأن هذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى، أن كل من يرى الابن و يؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير... لا يقدر أحد أن يُقبل إلىَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يو ٦ : ٣٩، ٤٠، ٤٤).

ولقد برهن المسيح على سلطانه على الإقامة من الموت باقامته ابنة يايروس وابن أرملة نايين ولعازر بعد أربعة أيام من دفنه.

٣ - الحضور فى كل مكان وزمان :

الله وحده هو الذى يوجد فى كل مكان، ولا يحده مكان، لأنه روح غير محدود وليس مادة. أما الإنسان - فلأنه محدود - فلا يمكنه أن يوجد فى أكثر من مكان فى وقت واحد. يقول الرب بلسان ارميا النبى «أما املأ أنا السموات والأرض» (أر ٢٣ : ٢٤)... و يقول «اعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه» (تث ٤ : ٣٩). و يقول داود فى المزمور «أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت فى

الهاوية فها أنت . إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى يدك ، وتُمسكنى يمينك » (مز ١٣٩ : ٧-١٠) .

ويسوع المسيح ربنا الذى صار فى شبه الناس نسب إلى ذاته الوجود فى كل مكان فى وقت واحد قال لنيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعلمائهم « ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣)... هذا التصريح اعلان واضح أن السماء التى بها عرش الله ، لم يصعد بعد إليها أحد من الناس لكن المسيح ابن الإنسان هو وحده الذى نزل منها ومع نزوله منها إلاَّ أنه كائن وقائم فيها وموجود بها بلاهوته الذى يملأ السموات والأرض ... وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس [أو ليس هو ذاك الذى جاء إلى أرضنا دون أن يبتعد عن السماء . أو ليس هو ذاك الذى صعد إلى السماء دون أن يتخلى عنا] ... و يسوع المسيح ابن الإنسان مع أنه نزل من السماء لكنه وهو على الأرض لم يُخل السماء من وجوده . فعندما كان على الأرض كان لا يزال فى السماء ... هذا الأمر لا يمكن أن ينسب إلاَّ إلى الله وحده ـ الوجود فى كل مكان فى وقت واحد ـ معنى ذلك وحدانيته مع الآب فى جوهر اللاهوت ... كأن المسيح يقول لنيقوديموس « وأنا أكلمك الآن ، أنا أيضاً فى السماء » .

+ قال الرب يسوع « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى

فهناك أكون فى وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . أى أنه لو اجتمع اثنان فى استراليا أو جنوب أفريقيا أو امريكا أو عند خط الأستواء أو فى أى مكان ، هناك يكون المسيح فى وسطهم ... لو كان المسيح مجرد إنسان لكان وجوده فى أكثر من مكان أمراً محالاً لا يقبله العقل ولا يسيغه المنطق .

+ و يقول السيد المسيح « **إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً (مقامنا)** » (يو ١٤ : ٢٣) ... وهنا نلاحظ أمرين أن المسيح ومعه الآب يقيم فى قلوب المحبين له اقامة دائمة فى وقت واحد . هو إذن فى قلوب كثيرين وأماكن كثيرة فى وقت واحد . ولا يحده منها مكان أو قلب . والكلام هنا يشمل الآب والابن وهذا دليل على الوحدانية فى الجوهر... هذا الوعد يشمل المكان كما يشمل الزمان فهذا وعد مطلق ... نفس هذا المعنى يعلنه المسيح فى سفر الرؤيا « **ها أنذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه واتعشى معه وهو معى** » (رؤ ٣ : ٢٠)... والكلام هنا يشمل كل مكان وزمان .

+ وقبيل صعوده إلى السماء قال الرب يسوع لتلاميذه « **وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر** » (مت ٢٨ : ٢٠) ... وهذا وعد بأنه هو بذاته سيكون معهم على الرغم من مفارقته الأرض بالجسد وصعوده إلى السماء . والمقصود بكلمة « **معكم** » هنا ، مصاحبة

التلاميذ بحضوره معهم دائماً فى كل مكان وزمان .

٤ - المسيح يغفر الخطايا :

يقرر الكتاب المقدس أن الله - والله وحده هو غافر الخطايا ... والمقصود هنا خطايا الإنسان ضد الله ذاته . هذه الخطايا لا يملك أحد أن يغفرها إلاّ الله وحده ... يقول « الرب إله رحيم ورؤوف بطىء الغضب وكثير الاحسان والوفاء . حافظ الاحسان إلى ألوف . غافر الإثم والمعصية والخطية » (خر ٣٤ : ٦ ، ٧) ... و يقول بلسان إشعياء النبى « أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطايك لا أذكرها » (إش ٤٣ : ٢٥)... وجاء فى الإنجيل المقدس قول اليهود « من يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده » (مر ٢ : ٧)... هذه حقيقة ثابتة . وليس لأحد غيره هذا الحق وهذا السلطان .

على أن الرب يسوع المسيح كان يمارس هذا الحق وهذا السلطان باعتباره صاحب سلطان أصيل . فقد غفر خطايا المفلوج الذى حمله اربعة رجال ودلوه من سقف البيت فى كفر ناحوم . قال له « ثق يا بُنى مغفورة لك خطاياك » . هذه العبارة جعلت الكتبة يقولون فى أنفسهم « هذا يجدف » ... فعلم الرب يسوع أفكارهم وسألهم لماذا يفكرون بالشر فى قلوبهم . وسألهم « أيما أيسر أن يُقال مغفورة لك خطاياك . أم أن يُقال قم وامشِ ؟ » ثم قال لهم « ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا . حينئذ قال

للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (مت ٩ : ١-٨ ؛ مر ٢ : ١ - ١٢ ؛ لو ٥ : ١٧ - ٢٦)...

هنا فى هذه المعجزة يكشف الرب يسوع عن سلطانه المطلق على مغفرة خطايا صنعها إنسان ضد الله . عندما علم بتوبته وندامته كعالم الخفايا ولم يسأله الاعتراف بها أمام الناس... ونلاحظ هنا أن السيد المسيح يتكلم بلهجة صاحب السلطان... كما **أنه قدم البرهان العملى على هذا السلطان** بشفاء المفلوج ، **لئلا يظن أحد أنه كلام المسيح الخاص بغفران خطايا المفلوج ليس سوى مجرد كلام !!**

كما غفر السيد المسيح للمرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى بعد أن بكت بشدة حتى غسلت رجليه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها ، وكانت تقبّل قدميه... وكان الفريسى يتعجب فى داخله من قبول السيد المسيح لاقتراب هذه المرأة الخاطئة منه وتصرفاتها معه على هذا النحو... وبعد أن قدّم للفريسى مثل المديونين قال له «من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً»... ثم قال للمرأة الخاطئة «مغفورة لكِ خطاياكِ»... فاندهش جميع الحاضرين وقالوا فى أنفسهم «من هذا الذى يغفر خطايا أيضاً» !! (لو ٧ : ٣٦ - ٥٠) .

ونلاحظ هنا فى هاتين الحالتين أن المسيح غفر للمفلوج وللمرأة

الخاطئة بسلطانه هو لا بسلطان الآب. لذا قال الكتبة فى أنفسهم «هذا يجدف» ... والمسيح من جانبه حكم على أفكار الكتبة هذه بأنها أفكار شريرة إذ قال لهم «لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم». والمعنى أنهم بانكارهم على المسيح سلطانه على غفران الخطايا قد سقطوا فى فكر شرير، وهم الذين ظنوا أنفسهم أنهم حماة الشريعة والمدافعون عن وحدانية الله وسلطانه المطلق على مغفرة الخطايا دون سواه.

وثمة ملاحظة هامة وهى أن المسيح فى غفرانه للمفلوج وللمرأة الخاطئة أصدر حكمه فى ذلك بدون سؤال أو ضراعة إلى الله. وهذا خلاف ما كان عليه الأنبياء الذين لا يملكون سلطان الغفران ولكن بتفويض من الله. وكمثال لذلك قول ناثان النبى لداود بعد أن اعترف بخطيئته أمامه وقال قد أخطأت إلى الرب، فكان جواب ناثان «الرب قد نقل عنك خطيئتك فلا تموت» ٢ صم ١٢ : ١٣) ... وهذا عين ما يفعله الكاهن مع المعترف فإنه طلب من الله «اللهم انعم علينا بغفران خطايانا» ... وفى النهاية يقول المعترف للكاهن المعرف «حاللنى يا أبى» فيجيبه «الله يحاللك».

٥ ـ المسيح يعلم الخفايا والسرائر :

معلوم أن الله وحده هو العالم بالخفايا والسرائر، وفاحص

القلوب والكلى. كما يقول المرنم «فاحص القلوب والكلى هو الله البار» (مز ٧ : ٩) ... وحق الإنسان فيما يختص بذاته قاصر عن معرفة كل ما يدور فى أعماقه من بواعث ودوافع وأفكار ومقاصد ... ولذا فقد أعتبر الآباء النساك معرفة النفس هدفاً يسعون لبلوغه. ومع ذلك يقرّ أحد الآباء الروحيين أن ما بلغوه فى هذا المجال بعضاً من كل!! و يبقى بينهم و بين المعرفة الكاملة للنفس الكثير...

إذن فالله وحده هو القادر على المعرفة الشاملة الفاحصة لأعماق الإنسان. وفى ذلك يقول داود النبى «يارب قد اختبرتنى وعرفتنى ... فهمت فكرى من بعيد ... كل طرقى عرفت. لأنه ليس كلمة فى لسانى إلاَّ وأنت يارب عرفتها كلها ... عجيبة هذه المعرفة ... لأنك أنت اقتنيت كُليتيَّ. نسجتنى فى بطن أمى ... لم تختفِ عنك عظامى حينما صُنِعتُ فى الخفاء ... رأت عيناك أعضائى، وفى سِفرِكَ كلها كُتبتْ يوم تَصَوَّرتْ إذ لم يكن واحد منها ... اختبرنى يا الله واعرف قلبى. امتحنى واعرف أفكارى. وانظر إن كان فىَّ طرقٌ باطلٌ، واهدنى طريقاً أبدياً» (مز ١٣٩ : ١ - ٢٤) ... وقال سليمان فى صلاة تدشين الهيكل بعد أن بناه «أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر» (١ مل ٨ : ٣٩) ... وفى سفر أعمال الرسل صلى الرسل وقالوا «أيها الرب العارف قلوب الجميع» (أع ١ : ٢٤).

ولقد نسب السيد المسيح لذاته صراحة أنه هو الفاحص القلوب والكلى. قال ليوحنا فى سفر الرؤيا «اكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. هذا يقوله ابن الله الذى له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقى. أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك. وايمانك وصبرك وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. لكن عندى عليك قليل أنك نسيتّ المرأة ايزابل التى تقول انها نبية حتى تُعلّم وتُغوى عبيدى أن يزنوا و يأكلوا ما ذبح للأوثان وأعطيتها زماناً لكى تتوب عن زناها ولم تتب. ها أنا القيها فى فراش والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم. واولادها أقتلهم بالموت، فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو فاحص الكُلى والقلوب وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله» (رؤ ٢: ١٨- ٢٣).

لو كان المسيح بشراً كأحد الأنبياء أو الرسل هل كان ممكناً أن ينسب إلى ذاته أنه هو الفاحص الكلى والقلوب ؟!! ولو كان كذلك لاعتبر قوله هذا تجديفاً على الله لأنه ينسب لذاته صفة يتفرّد بها الله. إن ذلك بينة على أنه هو والله واحد.

فى حياة المسيح بالجسد نراه يعرف ما يدور فى الخفاء. فلقد كشف للمرأة السامرية ما خفى على الناس. ومن أجل ذلك ذهبت لأهل مدينتها تدعوهم إليه «هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما

فعلت . ألعل هذا هو المسيح » (يو ٤ : ١٦ - ٢٩) .

وكان يعرف أفكار تلاميذه ، وكثيراً ما نقرأ فى الإنجيل هذه العبارة « **وعلم يسوع أفكارهم** » (انظر مت ٩ : ٤ ؛ ١٢ : ٢٥ ؛ لو ٥ : ٢٢ ؛ ٦ : ٨ ؛ ١١ : ١٧) ... **ومن هذا القبيل معرفته لأفكار سمعان الفريسى الذى دعاه إلى بيته** ، واخذ يدينه فى داخله لما رآه يترك المرأة الخاطئة تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب (لو ٧ : ٣٦ - ٤٠) ... **كما كشف لنثنائيل أمراً حدث فى طفولته** . فحينما قال عنه « هوذا اسرائيلى حقاً لا غش فيه » . قال له نثنائيل « من أين تعرفنى » . أجابه « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » . وإذ تملكت الدهشة نثنائيل قال للمسيح « يا معلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » ... حينئذ قال له الرب يسوع « هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة . سوف ترى أعظم من هذا » (يو ١ : ٤٧ - ٥٠) ... قصة نثنائيل وشجرة التين ترجع إلى طفولة نثنائيل حينما خبأته أمه فى سقط بين أغصان أحدى أشجار التين وقت المذبحة التى قام بها هيرودس وقتل كل أطفال بيت لحم وتخومها من سن سنتين فما دون ... هذه القصة يبدو أنه لم يكن أحد يعرفها ، وكشفها المسيح ، ولذا كانت دهشة نثنائيل عظيمة !!

وقد أنبأ المسيح بطرس بما كان عتيداً أن يلحقه من ضعف وإنكار « الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك

مرتين تنكرنى ثلاث مرات فقال بطرس بأكثر تشديد ولو اضطررت أن أموت معك لا انكرك» (مر ١٤ : ٢٩ - ٣١).

والمسيح حينما أراد أن يوفى ضريبة الدرهمين كجزية ولم يكن له، أمر بطرس أن يذهب إلى البحر ويلقى صنارته والسمكة التى يصطادها أولاً سيجد فيها استاراً يدفع من ثمنه عن المسيح وعن نفسه (مت ١٧ : ٢٤ - ٢٧)... فكيف علم المسيح بأمر السمكة والاستار الذى فيها ؟!

والسيد المسيح بعد قيامته ظهر لتلاميذه فى وقت الصباح عند بحر طبرية، وكانوا قد أمضوا ليلة لم يمسكوا فيها شيئاً من السمك. قال لهم: «القوا الشبكة إلى جانب السفينة الايمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك» (يو ٢١ : ٣ - ٦)... ما هذا... إن المسيح يعلم على وجه التحديد... جانب السفينة الأيمن !!

من يكون هذا الذى يعرف الخفايا ويفحص القلوب والكلى ويعرف ما فيها ؟! من هو هذا إلاَّ الذى قال فيه موسى «السرائر للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد» (تث ٢٩ : ٢٩)... ومن قال عنه دانيال النبى «ليكن إسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد... هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور» (دا ٢ : ٢٠، ٢٢).

٦ - المسيح هو الديان :

من المعلوم والمقرر أن الله هو وحده ديان البشر والأحياء والأموات ، وانه عين يوماً يدين فيه سرائر الناس وأعمالهم ، ويجازى كل واحد حسب أعماله ..

قال إبراهيم للرب « أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً » (تك ١٨ : ٢٥)... يقول المرتل « لأن الله هو الديان » (مز ٤٩ : ٦)... « ارتفع يا ديان الأرض » (مز ٩٤ : ٢)... ويقول بولس الرسول « يدين الله العالم » (رو ٣ : ٦)... « كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله » (رو ١٤ : ١٢)... « الله ديان الجميع » (عب ١٢ : ٢٣)...

وقد أوضح الرب يسوع مراراً فى مواضع متفرقة أنه هو بعينه الديان ، وإنه سيأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات ...

قال المسيح له المجد وهو يفسر لتلاميذه مثل زوان الحقل (مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠) « ... فى انقضاء هذا العالم ، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » (مت ١٣ : ٤٠ - ٤٢) .

وقال له المجد « فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ :

٢٧)... ويقول واصفاً يوم الدينونة الرهيب «**ومتى جاء إبن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض** كما يميز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء من اليسار» وبعد ذلك يصف حديثه للأبرار ومصيرهم، وحديثه للأشرار ومصيرهم... (مت ٢٥: ٣١- ٤٦).

وفيما هو يتكلم عن انقضاء العالم وعلاماته يقول «**حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً فى سحاب بقوة كثيرة ومجد فيرسل** حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من اقصاء الأرض إلى اقصاء السماء» (مر ١٣: ٢٦، ٢٧). **ويقول صراحة «لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن... وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه إبن الإنسان.** لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٢، ٢٧- ٢٩).

ويقول السيد المسيح فى ختام سفر الرؤيا «**ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله.** أنا الألف والياء، البداية والنهاية. الأول والآخر... أنا يسوع أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل وذرية داود. كوكب الصبح المنير» (رؤ ٢٢: ١٢- ١٦).

فإذا كان الأمر كذلك ، وكان يسوع المسيح هو وحده الديان وليس آخر، ولا شريك له فى هذا السلطان. وان الله الآب ذاته سوف لا يقوم بمجازاة الناس ، وإنما الله الابن هو الذى سيقوم بالدينونة ، فقد ترتب عليه أن يكون يسوع المسيح قد نسب إلى ذاته صفة أخرى من صفات الله ... فمن يكون إلا الله ذاته متجسداً وإلا كان مجدفاً ومدعياً !!

٧ ـ المسيح بيده سلطان الحياة والموت :

من المعلوم أن سلطان الحياة والموت هو بيد الله وحده دون سواه. فالله وحده هو الخالق الذى يملك أن يهب الحياة لغير الموجود ، وهو وحده الذى يستطيع أن يقضى بالموت على أى كائن فيصبح عدماً ... قال الله قديماً بلسان موسى النبى « أنا هو ولا إله معى. أنا اميت واحيى » (تث ٣٢ : ٣٩) ... وجاء فى سفر صموئيل « الرب يميت ويحيى » (١ صم ٢ : ٦) ... هذه بديهية من البديهيات .

والسيد المسيح نسب إلى ذاته هذا السلطان ـ سلطان الحياة والموت . أعلن هذا بدون تحفظ ، الأمر الذى لا يجرؤ على قوله نبى ، وإلاَّ أعتبر مجدفاً . وأعلن هذا السلطان بنفس الدرجة كما لله الآب ... يقول المسيح له المجد « كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، كذلك الابن أيضاً يُحيى من يشاء » (يو ٥ : ٢١) ... إن كلمة « من

يشاء » تعنى أن قدرته كاملة ، وسلطانه مطلق ، وهو لا يمارس تلك القدرة بمشيئة أحد آخر غير مشيئته هو. أى أن مشيئته لا تخضع لمشيئة كائن آخر غيره. وهذا معناه أن الابن والآب معاً واحد ، قدرة واحدة ومشيئة واحدة (يو ١٠ : ٣٠) . وليس هنالك افتراق أو أنقسام أو اختلاف بين الآب والابن فى ذلك. وان للابن ذات الصفات والقدرات التى لله الآب .

ثم أن المسيح له المجد يقول مراراً وتكراراً أن له سلطان الإقامة من الموت ، دائماً وأبداً ، حاضراً ومستقبلاً ، الآن وفى اليوم الأخير.

وفى نفس الموضع الذى قال فيه المسيح « كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم . كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء » ، يقول « لا تتعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته (صوت ابن الله) ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) ... « الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥ : ٢٥) ...

ومعنى عبارة « يسمعون صوته » ، أى يسمعون قوة الأمر الصادر من فمه الإلهى المبارك ، مثل صوته الآمر لابنة يايروس « يا صبية قومى » (لو ٨ : ٥٤ ؛ مر ٥ : ٤١) . ومثل صوته الآمر لابن أرملة نايين « أيها الشاب لك أقول قم » (لو ٧ : ١٤) . ومثل

صوته للعازر « هلمّ خارجاً » (يو ١١ : ٤٣) ... **هذا الصوت الآمر يجعل الذين في القبور يقومون بقدرة وقوة الكلمة التي أصدرها إليهم ...**

وفضلاً عن ذلك يقول المسيح له المجد « كل من يرى الابن و يؤمن به تكون له حياة أبدية ، وأنا اقيمه في اليوم الأخير » (يو ٦ : ٤٠) ... وفي حديثه عن أعطاء جسده ودمه يقول « من يأكل جسدى و يشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٤) . **بهذا الكلام يظهر بوضوح سلطانه على الاقامة من بين الأموات . وأنه لا يقيم الموتى الآن فحسب ، ولكن سلطانه يمتد إلى اليوم الأخير في القيامة العامة ... ولا عجب في ذلك فهو القائل « أنا هو القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) .**

و يؤكد المسيح مراراً على هذه الحقيقة أنه مالك الحياة الأبدية ، وأنه قادر بسلطانه أن يمنحها لمن يستحقها من المؤمنين به والعاملين بوصاياه ، وأن يمنح الطعام الذى به تحيا النفوس الحياة الأبدية ، إذ هو شجرة الحياة الحقيقية ... « اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان » (يو ٦ : ٢٧) ... « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد » (يو ١٠ : ٢٧ ، ٢٨) ... المسيح إذن هو مانح الطعام الباقى للحياة الأبدية . ولما كان فاقد الشىء لا يعطيه ، فانه هو

المالك له . إذن من يهب الطعام الباقى للحياة الأبدية هو مالك الأبد والأبدية . وهو الله وحده .

من كل ذلك يتبين ما للمسيح من سلطان على الحياة ، وأنه القادر على أن يمنح الحياة ، والحياة الأبدية الدائمة إلى الأبد . وهذا لن يكون إلا لمن هو أبدى ، وهو الله وحده ، ولا آخر سواه .

٨ ـ العصمة من الخطأ :

ليس أحد معصوماً من الخطأ إلا الله وحده ، حتى انه يقال فى المثل الشائع [العصمة لله وحده] . ليس أحد من البشر معصوماً من الخطأ والخطيئة . وحتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطأ والخطيئة إلا فيما كتبوا من أسفار مقدسة أو نطقوا بأقوال بارشاد روح الله . أما فيما يختص بأشخاصهم فلم يكونوا معصومين . وهكذا يشهد الوحى الإلهى «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص . لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١ : ٢٠ ، ٢١) .

قلنا إن الأنبياء كانوا معصومين فيما قالوا وما كتبوا ، أما هم فى ذواتهم فلم يكونوا معصومين من الخطأ . فآدم أخطأ وورّث الجنس البشرى كله حالة الخطيئة ... ونوح أخطأ إذ سكر من الخمر وتعرى ،

ولوط أخطأ أيضاً ، وكذلك إبراهيم كذب على فرعون ملك مصر (تك ١٢ : ١٠ - ١٢) وعلى أبيمالك ملك جرار (تك ٢٠ : ١ - ١٨) . وكذب إسحق على أبيمالك وأهل جرار (تك ٢٦ : ١ : ١١) ، وكذب يعقوب على أبيه إسحق وأخذ بركة البكورية بدل عيسو أخيه (تك ٢٧) . وكذب اخوة يوسف على أبيهم يعقوب . وأخطأ الأنبياء الآخرون من أمثال موسى الذى قتل المصرى ، وداود الذى زنى ... إلخ . وهكذا أخطأ الجميع ... لذا قال الكتاب المقدس بلسان سليمان الحكيم فى صلاة تدشين الهيكل الذى بناه «لأنه ليس أنسان لا يخطىء» (١ مل ٨ : ٤٦) ... وجاء فى سفر أيوب «من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر. هوذا قديسوه لا يأتمنهم والسموات غير طاهرة بعينيه . فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء» (أى ١٥ : ١٤ - ١٦) ... وقال داود فى المزمور «فسدوا ورجسوا بأفعالهم . ليس من يعمل صلاحاً الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله . الكل قد زاغوا معاً فسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤ : ١ - ٣) ... ويقول بولس الرسول «كما هو مكتوب انه ليس بار ولا واحد . ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو ٣ : ١٠ - ١٢) ... ويقول يوحنا فى رسالته «إن قلنا

إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ... إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا » (١ يو ١ : ٨ ، ١٠) .

لكن السيد المسيح قال متحدياً اليهود « من منكم يبكتني على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . أي من منكم يثبت عليَّ خطأ ... وقد قال السيد المسيح هذه العبارة لليهود بعد أن وبخهم وقال لهم « أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » ... ولا شك أن هذه الكلمات عبأت فيهم مشاعر الغضب ، ومع ذلك لم يستطع ولا واحد فيهم أن يثبت عليه خطأ واحداً ، رغم إنهم كانوا يرصدون حياته وخطواته وكلماته ، ويريدون أن يصطادوه بكلمة (مت ٢٢ : ١٥ ؛ مر ١٢ : ١٣) .

مَنْ من القديسين والأنبياء تجرأ على أن ينطق بمثل هذه الكلمات ؟! حتى العذراء مريم التي وُصفت بأنها « ممتلئة نعمة » ، اظهرت حاجتها إلى مخلصّ فقالت بعد بشارتها بولادة المسيح « تبتهج روحي بالله مخلصي » (لو ١ : ٤٧) .

إن جميع البشر يهتفون مع أيوب في حضرة الله « أأخطأت . ماذا أفعل لك يا رقيب الناس ... ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل إثمي » (أي ٧ : ٢٠ ، ٢١) ... والبشر جميعاً يفزعون مع داود قائلين « لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في

قضائك . هأنذا بالاثم حبل بى و بالخطية ولدتنى أمى » (مز ٥١)...
ويهتفون أيضاً مع إشعياء « و يل لى انى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين » (إش ٦ : ٥) .

لكن المسيح وحده هو الذى نسب لذاته العصمة « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦)... وحينما يتكلم عن أحداث الصليب يقول « رئيس هذا العالم (إبليس) يأتى وليس له فىَّ شىء » (يو ١٤ : ٣٠)...

و يقول بطرس الرسول عن المسيح « الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » (١بط ٢ : ٢٢) . و يقول بولس الرسول عن المسيح له المجد « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦)... ولا عجب ، فلقد قال رئيس الملائكة جبرائيل للعذراء مريم وهو يبشرها بولادة المسيح « القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . وكلمة قدوس لا تطلق إلاَّ على الله ، أما البشر الأبرار فيُدعون قديسين .

٩ ـ المسيح هو رب الشريعة :

الشريعة هى « شريعة رب الجنود » (إش ٥ : ٢٤ ؛ ٥١ : ٤ ، ٧)... وإن كانت سميت أحياناً « شريعة موسى » (دا ٩ : ١١ ؛ ملا ٤ : ٤) من قبيل أن موسى هو الذى تلقاها من الله وابلغها إلى

شعب إسرائيل. فليس موسى هو صاحب الشريعة، لكنه النبى الوسيط الذى أوحى الله إليه بالشريعة وأمره بأن يحملها من قبله إلى الناس. وكما يُقال ما على الرسول إلاَّ البلاغ.

ولقد نسب الرب يسوع المسيح إلى ذاته ما لم ينسب فى الكتاب المقدس لغير الله، فقال «إن ابن الإنسان هو رب السبت» (مت ١٢ : ٨؛ مر ٢ : ٢٨؛ لو ٦ : ٥). والقول إن ابن الإنسان هو رب السبت معناه أنه واضع شريعة السبت... فمتى كانت شريعة السبت؟ من المعروف أن الله هو الذى أمر بحفظ السبت، اليوم الذى استراح فيه من عمل الخليقة الأولى (تك ٢ : ١-٣)... وبعد ذلك أعطى الوصية الرابعة من الوصايا العشر وتقضى بحفظ السبت. (خر ٢٠ : ٨-١١)... وكون السبت يرجع إلى زمن الخليقة، معنى ذلك أنه كان بوجوده الأزلى سابقاً على زمن ميلاده من مريم العذراء...

قلنا إن المسيح هو «رب السبت» أى واضع شريعة السبت ونضيف إلى ذلك أن رب السبت تعنى (سيد السبت) و(إله السبت)، والمتصرف فى السبت كما يشاء. وهو وحده الذى يملك أن يفسر شريعة السبت وكيفية حفظه. وسنرى الآن كيف تصرف المسيح فى السبت وكيف فسّره.

فلقد علّم كهنة اليهود ورؤساؤهم بأن حفظ السبت يقتضى التوقف عن كل أنواع العمل حتى عمل الخير بل والأعمال التى تقتضيها ضرورات الحياة، وكمثال فقد حرّموا على الأعمى أن يحمل عكازه فى السبت ليتوكأ عليه فى الطريق !!... وما أكثر ما أعترض اليهود على المسيح فى صنع المعجزات واتهموه أنه ليس من الله لأنه يكسر السبت !!

ومن أمثلة ذلك أعتراضهم على المفلوج المريض ببركة بيت حسدا حينما رأوه حاملاً فراشه فى يوم سبت (يو ٥ : ١٠)، والمولود أعمى الذى ذهب واغتسل فى بركة سلوام فى يوم سبت وعاد بصيراً (يو ٩ : ١٦)، وتلاميذ المسيح الذين كانوا يسيرون بين الحقول فى يوم سبت وكانوا يقطفون سنابل الحقل (مت ١٢ : ١، ٢؛ مر ٢ : ٢٣، ٢٤؛ لو ٦، ١، ٢) وشفاء المسيح للرجل ذى اليد اليابسة فى يوم السبت (مت ١٢ : ٩ - ١٥). وشفاؤه للمرأة المنحنية الظهر (لو ١٣ : ١٠ - ١٧). وشفاء الإنسان المريض بالاستسقاء (لو ١٤ : ١ - ٦). فماذا كان موقف السيد المسيح من هذه الاعتراضات والاتهامات والتفسيرات الخاطئة ؟

المسيح - باعتباره رب الشريعة وواضعها والعارف بحكمتها - أخذ يشرح للكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة من اليهود أن الأعمال

الضرورية لحياة الإنسان جائزة فى يوم السبت ، ولا يعتبر القيام بها كسراً للسبت أو مخالفة للشريعة . قال لهم « أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله فى أيام أبيأثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله إلاَّ للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضاً . ثم قال لهم السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت . إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً (مر ٢ : ٢٣ - ٢٨) ... وفى نفس هذه القصة يضيف القديس متى قول المسيح للفريسيين « أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يُدَنسون السبت وهم أبرياء (لا يحفظون السبت) ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل . فلو علمتم ما هو . إنى أريد رحمة لا ذبيحة لما حكمتم على الأبرياء . **فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً** » (مت ١٢ : ١ - ٨ ؛ أنظر ١ صم ٢١ : ١ - ٦) .

فى هذا الحوار يكشف المسيح كيف اساء معلمو الشريعة من اليهود تفسير هذه الشريعة وأن جوهر الشريعة هو الرحمة « أريد رحمة لا ذبيحة » . وأن الله لم يضع الشريعة بقصد التحكم فى الناس ، وإنما وضعها لخيرهم ورحمة بهم . وختم هذا الحديث بأن « **السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت** » .

ومرة أخرى يبين لهم سوء فهمهم للشريعة حينما قال لهم « فى السبت تختنون الإنسان . فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت

لئلا ينقض ناموس موسى ، افتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت . لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكماً عادلاً » (يو ٧ : ٢٢- ٢٤) .

هكذا كشف المسيح بكل وضوح أنه هو واضع الشريعة وصاحبها ولذا فهو خير من يفسرها ويشرحها . وفي تفسيره للشريعة يبين حكمتها ويظهر جوهرها ... ويصرح المسيح في ثنايا كلامه « إن ههنا أعظم من الهيكل » ... والمعنى أن من يقول « السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » هو أعظم من الهيكل . وليس أعظم من الهيكل إلا رب الهيكل . وفي هذا اثبات لحقيقته الإلهية المستورة في انسانيته الظاهرة لعيونهم وبالتالي أظهار لسلطانه المطلق في وضع الشريعة وفي تفسيرها ، وفي اظهار الحد بين ما هو حلال وما هو حرام ... « فإن هذا (يسوع المسيح) قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى ، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت » (عب ٣ : ٣) .

هذا والسيد المسيح في عظته على الجبل يكشف كذلك عن كونه رب الشريعة ... يقول « سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم . أما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ... سمعتم أنه قيل

للقدماء لا تزن. أما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه... وقيل من طلّق إمرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم إن من طلق إمرأته إلاَّ لعلة الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى... إلخ» (مت ٥).

وجدير بالذكر فيما يختص بسلطان المسيح فى التعليم والتشريع قول الإنجيل فى نهاية عظته على الجبل «فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه. لأنه كان تعليمه كمن له سلطان وليس كالكتبة» (مت ٧: ٢٨، ٢٩).

١٠ - القدرة على كل شىء:

ليس من يتصف بالقدرة على كل شىء إلاَّ الله القدير وحده، الذى عرّف ذاته لموسى النبى بقوله «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق و يعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء» (خر ٦: ٣) وقال يعقوب ليوسف قبيل نياحته «الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لُوزَ فى أرض كنعان و باركنى» (تك ٤٨: ٣)... و يقول بولس الرسول إلى أهل كورنثوس «أكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين و بنات يقول الرب القادر على كل شىء» (٢ كو ٦: ١٨)...

والسيد المسيح يصف ذاته بأنه القادر على كل شىء. فيقول فى سفر الرؤيا «اعلان يسوع المسيح... أنا هو الألف والياء، البداية

والنهاية ، يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء » (رؤ ١ : ١ ، ٨) ... والمتكلم هو يسوع المسيح . وهو ينسب إلى ذاته أنه الأزلى الأبدى القادر على كل شىء ...

يقول أيوب للرب فى نهاية تجربته « قد علمت أنك تستطيع كل شىء ولا يعسر عليك أمر » (أى ٤٢ : ٢) ... والقديس بولس الرسول يقول نفس الكلمات تقريباً على السيد المسيح « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) ... ان بولس يقرر هنا أنه يستطيع كل شىء أو يقدر على كل شىء إنما بقوة المسيح الذى يقويه ... والمعنى أن المسيح القادر على كل شىء هو الذى يهب بولس القدرة فيستطيع كل شىء ...

وقد قال السيد المسيح صراحة « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . ولماذا بدون المسيح لا نقدر أن نفعل شيئاً ، لأنه وحده مصدر القوة والقادر على كل شىء ... و يورد لنا القديس متى فى إنجيله قصة اعميين شفاهما ... يقول « وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان و يقولان إرحمنا يا ابن داود . ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان . فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا . قالا له نعم يا سيد . حينئذ لمس أعينهما قائلاً بحسب إيمانكما ليكن لكما . فانفتحت أعينهما » (مت ٩ : ٢٧ - ٣٠) .

نلاحظ سؤال المسيح للأعميين « أتؤمنان أنى اقدر أن **أفعل هذا** » . فكان جوابهما « نعم يا سيد » ، أى نعم يؤمنان بقدرته ... و بلمسة يده القادرة انفتحت أعينهما !!

يقول بولس الرسول فى العبرانيين عن المسيح له المجد إنه « **حامل كل الأشياء بكلمة قدرته** » (عب ١ : ٣) . وفى نفس الموضع يتكلم عن سجود الملائكة له ، وأن كرسيه إلى دهر الدهور (عب ١ : ٦ ، ٨) ... وفى رسالته إلى أهل فيلبى يقول « فإن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح . الذى سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده **بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء** » (فى ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

و يقول بطرس الرسول فى رسالته « سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساو ياً لنا ببرّ إلهنا والمخلص يسوع المسيح ... **كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى** » (٢ بط ١ : ١ ، ٣) ... و يقول يهوذا الرسول « **والقادر أن يحفظكم** غير عاثرين ، و يوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج . **الإله الحكيم الوحيد مخلصنا** له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور آمين » (يه ٢٤ ، ٢٥) .

وبالاضافة إلى كل ذلك فقد ظهرت قدرة المسيح على كل

شيء في شق أنواع المعجزات التي صنعها بكلمة من فيه، حتى لعازر الذي كان قد انتن وتحلل جسده أقامه بكلمة ... فمن يكون المسيح هذا، إلاّ القادر على كل شيء. وليس قادر على كل شيء سوى الله وحده ...

١١ ـ الثبات وعدم التغيّر :

الإنسان وجميع الأشياء والموجودات في تغيّر دائم . لكن الله وحده غير المتغير... فالتغيّر من صفات النقص والضعف، وهي من صفات المخلوق. لكن الخالق لا يمكن أن يوصف بذلك لأنه وحده الكامل غير الناقص من الأزل إلى الأبد، لذا لا ولن يتغير فالتغيّر إما أن يكون إلى أفضل أو إلى أقل. وليس الله ناقصاً فيقبل التكميل، ولا هو ضعيف فيقبل عدم الثبات في الكمال ...

يقول المزمور « يا إلهي ... من قِدَم أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغيّر. وأنت هو وسنوك لن تنتهي» (مز ١٠٢ : ٢٥-٢٧). ونفس المعنى اقتبسه بولس الرسول في (عب ١ : ١٠-١٢).

ويقول الرب بلسان ملاخي النبي « لأني أنا الرب لا أتغير» (ملا ٣ : ٦)... ويقول الوحي الإلهي بلسان يعقوب الرسول « كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار

الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يع ١ : ١٧) ... و يقول فى المزمور قول الرب « لا انقض عهدى ولا أغيّر ما خرج من شفتى » (مز ٨٩ : ٣٤) ... و يقول بطرس الرسول « وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد » (١ بط ١ : ٢٥) .

فإذا كان الله ثابتاً لا يتغير ، فإن المسيح نسب إلى ذاته الثبات وعدم التغير فى قوله لليهود « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (يو ٨ : ٥٨) ... كما نسب المسيح له المجد إلى ذاته أن كلامه أيضاً لا يزول « السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول » (مت ٢٤ : ٣٥ ؛ مر ١٣ : ٣١ ؛ لو ٢١ : ٣٣) .

إذن فقد نسب المسيح إلى ذاته عدم التغيّر والثبات والبقاء إلى الأبد ... يقول بولس الرسول فى العبرانيين « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) ... كما يقول فى العبرانيين « أنت أنت وسنوك لن تفنى » (عب ١ : ١٢) .

١٢ ـ مساواة المسيح الابن لله الآب :

تكلم السيد المسيح عن مساواته للآب فى الجوهر وفى الذات الإلهية ... ونستطيع أن نلمس هذه المساواة من خلال استعراض النقاط الآتية :

أ ـ المسيح مساوٍ للآب فى الجوهر :

لقد أوضح السيد المسيح فى أحاديثه انه واحد مع أبيه فى الجوهر... فبينما كان يتحدث إلى تلاميذه و يقول لهم « أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بى. **لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً.** ومن الآن تعرفونه **وقد رأيتموه.** قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا. **فقال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس. الذى رآنى فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب. الست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ.** الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى. لكن الآب الحالّ فىَّ هو يعمل الأعمال. **صدقونى أنى فى الآب والآب فىَّ.** وإلاَّ فصدقونى لسبب الأعمال نفسها » (يو ١٤ : ٦-١١)...

هنا نرى المسيح يرد على فيلبس بنغمة عتاب، لأنه لم يفهم « أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس !! »... أليس جواب المسيح على سؤال فيلبس يعنى أن الآب والإبن واحد فى الجوهر، ومن رأى الابن فقد رأى الآب تماماً ؟!! فالآب لم يره أحد من الناس قط، ولا يقدر أن يراه، لأنه بطبيعته غير منظور، وأما وقد صار منظوراً فى المسيح، فقد صار مرئياً... و يعود السيد المسيح و يعاتب فيلبس

من سؤاله «ألست تؤمن أنى أنا فى الآب ، والآب فىّ» ... وهذا التكرار يعنى أنه يقصد كلمات العبارة حرفياً .

ومرة أخرى فى (يو ١٢ : ٤٤ ، ٤٥) يكرر نفس الالفاظ تقريباً فيقول «الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى ، والذى يرانى يرى الذى أرسلنى» ... وقوله هنا «الذى أرسلنى» لكى يبين لليهود أنه آتٍ من فوق . لا بمعنى أن الآب أرسل الابن كأن الابن أقل من الآب ... حاشا . ولكن لأن المسيح جاء من السماء ، ومن أجل رسالة ، ولا بد أن تكون هذه الرسالة واحدة لأن الله واحد . فلكى لا يفهم اليهود الذى يسمعون هذا الكلام أن هناك إلهين ، كان لا بد للمسيح أن يوحد مصدر الرسالة فيقول : «الذى يرانى يرى الذى أرسلنى» .

وأكثر من هذا ، فإن السيد المسيح فى مناجاته الوداعية مع الآب التى أوردها يوحنا فى الأصحاح ١٧ من إنجيله ، يقول على مسمع من تلاميذه «كل ما هو لى فهو لك . وما هو لك فهو لى» (١٧ : ١٠) ... نلاحظ تعبير «كل ما» ... أى كل شىء لى فهو لك ، وكل شىء لك فهو لى» .

من ذا الذى يقدر أن يجرؤ على قول مثل هذا الكلام لو كان مجرد بشر ؟!! ولو حدث أن نبياً نسب لنفسه هذه الصفة لاعتبر نبياً كاذباً

ومجداً !! إن المسيح وحده هو الذى يتحدى كل الأنبياء حينما يؤكد أن كل ما هو للآب فهو له ، وكل ما هو له فهو للآب !!

نفس الكلمات وبنفس المعنى يؤكدها المسيح فى (يو ١٦ : ١٥) حينما يقول « كل ما للآب هو لى » ... وفى مواضع أخرى يتكلم السيد المسيح - ربما بأكثر صراحة عن مساواته للآب ، بعبارات آثارت حفيظة اليهود وغيظهم ، وذلك حينما قال **« أنا والآب واحد »** (يو ١٠ : ٣٠) ... **أما نتيجة هذا التصريح فإن اليهود تناولوا حجارة ليرجموه ... أجابهم يسوع « أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى . أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً » (يو ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) .**

ب - المسيح يعرف الآب معرفة عيانية :

قال السيد المسيح **« كل شىء قد دفع إلىّ من أبى . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابنُ أن يُعْلِنَ له (يكشف له) »** (مت ١١ : ٢٧) ... ومعرفة المسيح الابن للآب ليست كمعرفة الإنسان لله ، ولا حتى كمعرفة الإنبياء الملهمين بالروح القدس . فالمسيح نسب إلى ذاته أنه يعرف الآب معرفة عيانية مباشرة ... والمعنى أنه يعرف الآب فى ذاته ،

وفى جوهره ، وفى طبيعته ، وفى حقيقته ... أما السبب فلأنه من الآب ـ من جوهر الآب ، ومن طبع الآب ، ومن حقيقة الآب ، ومن طبيعة الآب ...

السيد المسيح يعرف الآب معرفة عيانية كاملة ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى يعرفه معرفة مباشرة ، معرفة فاحصة ، معرفة بلا غموض أو ابهام ، معرفة بغير حدود ... هذه هى معرفة الابن للآب . وهى بعينها معرفة الآب للابن من غير فرق بين الآب والابن ...

فى الآية التى سبق أن ذكرناها « ليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب . ولا أحد يعرف الآب إلاّ الإبن » . نجد المسيح قد سوّى فى المعرفة بين معرفة الابن للآب ، ومعرفة الآب للابن . ورفع هذه المعرفة إلى مستوى ليس له نظير أو شبيه فى معرفة الإنسان لله ... والمسيح فى كلامه هذا يقصد معرفة خاصة تختلف عن أى نوع آخر من المعرفة ... معرفة الآب فى طبيعته وفى جوهره وفى ذاته الإلهية ... فيما يختص بهذه الأمور لا يوجد أبداً أحد يعرف الآب إلاّ الابن ... **وهنا نفى المسيح عن أى نوع آخر من البشر المعرفة الحقيقية للآب وخصها بذاته ، وجعل ذاته الوحيد الذى يعرف الآب هذا النوع من المعرفة ... إنه لا يتكلم هنا عن المعرفة الموجودة فى عالمنا عن الله . على نحو ما يقول الواحد : [أنا أعرف ربنا أو فلان يعرف ربنا] .**

أنت تعرف الله بمعنى أنك تؤمن بوجوده ، أو بمعنى أنك تحفظ وصاياه وتعترف بحقيقة وجوده. إذن أنت تعرف الله بهذا المعنى... لكن لا يوجد من يمكنه أن يدعى أنه يعرف الآب المعرفة العيانية والمباشرة والكاملة التى ينسبها المسيح لنفسه ... ثم أن المسيح يقرر أن هذه المعرفة هى بعينها المعرفة التى يعرفه الآب بها . وهذا معناه المساواة بين الابن والآب . وإن الابن يعرف الآب نفس المعرفة التى يعرفها الآب للابن ..

ثم بعد ذلك يقول السيد المسيح فى الآية السابقة « ومن أراد الابن أن يُعْلِنَ له » أو يكشف له . يعنى أن هذه المعرفة موقوفة على الابن ، والابن وحده له الحق فى أن يعلنها ويكشفها لمن يريد ... وليس معنى هذا أن الابن متى أعلن أو كشف هذه المعرفة لشخص ما ، أن تصبح معرفة هذا الشخص للآب هى بعينها معرفة الابن للآب ... حاشا ، فمعرفة الابن للآب معرفة مباشرة بغير واسطة أما معرفة الإنسان للآب ، فهى من خلال معرفة الإبن للآب . فهى نوع من الانعكاس . انعكاس النور من المسيح على الإنسان .

وهكذا نرى أن معرفة الإنسان لله معرفة بواسطة - أى معرفة غير مباشرة ، وغير كاملة بعكس معرفة الإبن للآب فهى معرفة كاملة عيانية ، مباشرة ، بدون واسطة ..

نفس المعنى يكرّره السيد المسيح فى حديثه مع اليهود ... « أنتم لستم تعرفونه (الآب) ، أما أنا فأعرفه لأنى منه » (يو ٧ : ٢٨ ، ٢٩) ... وحينما يقول المسيح لهم « أنتم لستم تعرفونه » هو لا يقصد المعرفة العادية التى تعبرّ عن إيمان الإنسان بالله أو بوجوده أو المعرفة الكتابية الخاصة بالكتب المقدسة وإرسال الأنبياء ، أو بحفظ نواميسه ووصاياه ... لأن اليهود كانوا يعرفون الله من هذه النواحى ، بل حتى الشعوب من غير اليهود كانوا يعرفونه من خلال موجوداته ودلائل أخرى . لكن المسيح يتكلم هنا عن معرفة من نوع خاص هى المعرفة العيانية المباشرة باعتباره من طبعه ومن جوهره ومن الذات الإلهية ، ولذا يقول « أنا أعرفه لأنى منه » ... ونفس العبارة يكررها فى (يو ٧ : ٢٩) .

هذا تعبير لا يجرؤ عليه أحد لأنه لا ينطبق على أحد ولا على الأنبياء رغم أنهم يعرفون الله والله يكلمهم ... فموسى كلمه الله ، وقيل عنه إنه كان يعرف الله و يكلمه كما يكلم الرجل صاحبه . و يضاف إلى ذلك أن موسى رأى شيئاً من بهاء الله إنعكس على وجهه فصار وجهه يلمع كل أيام حياته ... ومع كل ذلك فليست هذه هى المعرفة التى يعنيها رب المجد حينما يقول « أنا أعرفه لأنى منه » ... فالمقصود معرفة خاصة كما سبق أن اسلفنا .

وعندما كلم ربنا يسوع المسيح اليهود عن انه نزل من السماء وجاء من السماء، تذمروا عليه لأنه قال « أنا هو الخبز الحيّ الذى نزل من السماء » . فكان جوابه على تذمرهم « **ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله . هذا قد رأى الآب** » (يو ٦ : ٤٦) . ونلاحظ أن **(قد) هنا للتحقيق والتوكيد** وهذا التعبير قاصر على سيدنا لأنه الوحيد الذى رأى الآب ... والمقصود الرؤية المباشرة ، وإنه عاينه عياناً مباشراً بلا وسيط .

ولقد كرر المسيح نفس المعنى بنفس الألفاظ مرة أخرى ... فعندما قال له اليهود « **ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات . والأنبياء ماتوا . من تجعل نفسك** » . أجاب الرب يسوع « إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً . **أبى هو** الذى يمجدنى الذى تقولون أنتم إنه إلهكم . ولستم تعرفونه . **وأما أنا فأعرفه . وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً لكنى أعرفه** » (يو ٨ : ٥٢ - ٥٥) .

ومرة أخرى يتكلم المسيح إلى اليهود و يقول لهم « **الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب** » (يو ١٠ : ١٥) . **هنا يكرر نفس الألفاظ لتوكيد نفس الحقيقة** ... وكون المسيح **يؤكد على هذا المعنى فإن هذا يعنى أنه يقصده** . وليس **كلامه هنا من باب المجاز على نحو ما** قال « أنا هو باب الخراف » . ومع ذلك فقد فسر بعد ذلك ما يقصده

بقوله « أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص و يدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو ١٠ : ٩) ... وعندما قال مرة لتلاميذه « لى طعام آخر لستم تعرفونه أنتم . فقال التلاميذ بعضهم لبعض العل أحد أتاه بشىء ليأكل » . هنا أوضح المسيح ما يقصده فقال لهم « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى واتمم عمله » (يو ٤ : ٣٢-٣٤) ... ومن طريقة المسيح وأسلوبه نعلم أنه إذ قال تعبيراً واساء الناس فهمه فإنه إما كان يعود و يؤكد هذا التعبير بألفاظه ومنطوقه مرة أخرى . وهذا دليل على أنه يقصد ما يقوله ، وإما انه كان يوضح ما يقصده على نحو قوله ذات مرة لتلاميذه «أنظروا وتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين » . فلما وجد أن تلاميذه لم يفهموا ما قصد إليه قال لهم صراحة « تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء » (لو ١٢ : ١ . أنظر مت ١٦ : ٦ ؛ مر ٨ : ١٥) ...

وفى مناجاة المسيح للآب التى أوردها يوحنا فى ص ١٧ ، كان يناجى الآب على مسمع من تلاميذه. وفى هذه المناجاة ، كان يؤكد حقيقة العلاقة بين الآب والابن - بين الله غير المنظور، وبين الله وقد أصبح منظوراً فى المسيح ... قال « **أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك ، أما أنا فعرفتك** » (يو ١٧ : ٢٥) ... « **العالم لم يعرفك** » ... أى لم يعرفك المعرفة الخاصة بين الابن والآب ، أى معرفة الله فى طبيعته وجوهره هذه المعرفة لا نظير لها فى عالم

الإنسان ... إنها معرفة أرقى وأسمى من معرفة الأنبياء الملهمين بالروح القدس. لأن الأنبياء نطقوا بما نطقوا بإلهام ... ومع ذلك فقد كانت هذه المعرفة فى غموض. وكأنها كما يقول الرسول بولس فى مرآة «فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز... الآن أعرف بعض المعرفة» (١ كو ١٣ : ١٢).

جـ - المسيح مساوٍ للآب فى الكرامة :

بعد أن شفى السيد المسيح مريض بيت حسدا، قال لليهود إن الابن يعمل نفس أعمال الآب، وأنه هو الذى سيدين العالم... ثم أردف «**لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب**» (يو ٥ : ٢٣) ... **أى نفس الكرامة التى يكرم بها الناس الآب يكرمون بها الابن ... وهذا لا يمكن بحال من الأحوال لو لم يكن الابن مساوياً للآب فى الذات الإلهية ...**

مَنْ من الأنبياء يجرؤ على قول مثل هذا الكلام ... **ولو فعل لاعتبر مجدفاً** ... وهذا هو السبب فى أن اليهود نسبوا للمسيح أنه جدّف على الله ... قالوا له «**لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً**» (يو ١٠ : ٣٣) ... أى أنه نسب إلى ذاته نفس الأشياء، أو نفس القدرة، ونفس العمل، ونفس الكرامة التى تُنسب للآب ... «**لكى يكرم الجميع الإبن كما يكرمون الآب**» ...

ثـــالثـــاً

المسيح عمل جميع أعمال الله

وفى الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا يقول :

« وكان عيد التجديد فى أورشليم وكان شتاء . وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان . فاحتاط به اليهود وقالوا له إلى متى تقلق أنفسنا . **إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً . أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون . الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى ... أنا والآب واحد** . فتناول اليهود حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى . أجاب اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ... **إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىَّ وأنا فيه** » (يو ١٠ : ٢٢ - ٣٨) .

وقول المسيح له المجد « **إن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال** ، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىَّ وأنا فيه » ، يعنى به أنه إن كان كلامى غير واضح أو إن كنت أنا انسب لنفسى ما ليس لى « انى والآب واحد » ، **فبرهانى عملى ، اننى أعمل أعمالاً لا يمكن لنبى أن يعملها . ويؤكد أن**

الأعمال التي يعملها هي نفس أعمال الآب « إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي »... فهو يخلق و يقيم الموتى ويحييهم بسلطانه ، وانه لا يشفي ولا يقيم الموتى بتضرع أو ابتهال ، كأنه يطلب قوة من إله آخر خارجاً عن ذاته... و يؤكد المسيح هذا المعنى بعد معجزة شفاء مريض بيت حسدا يقول لليهود عن الآب « لأن مهما عمل ذاك (الآب) فهذا يعمله الابن كذلك » (يو ٥ : ١٩) .

يقول السيد المسيح « أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (يو ٥ : ١٧) . وعمل الآب هو الخلق لأن الله لازال يخلق . صحيح أن الله خلق أبانا آدم وامنا حواء في مبدأ الأمر، واليوم لا يخلق بنفس الطريقة التي خلق بها آدم من تراب ثم نفخ فيه نسمة حياة... ومع ذلك فالله خالق بنفس المعنى ، لأن الله وضع القانون الذي به يتم عمل الخلق ، بمعنى الولادة من أبوين وهكذا بإن عملية الخلق مازالت تتم سواء في الإنسان أو الحيوان على كافة أنواعه... فقول المسيح « أبي يعمل حتى الآن » باعتباره خالق وعمل الخلق مستمر... ثم هو أيضاً الحافظ للكون . لأن الله خلق الأشياء والموجودات . وعمل الخلق غير عمل الحفظ ، لأنه يمكن أن يخلق الشيء ثم يفنى بعد ذلك . لكن الله يصون الشيء ويحفظه من الفناء ، ويحفظ للقانون استمراره...

فالشمس تشرق وتغرب كل يوم وفق قانون ثابت ، وكذلك تعاقب الفصول والرياح والأمطار... ونظراً لانتظام هذه القوانين بكل دقة أمكن للعلماء أن يستنبطوا من ظواهر الطبيعة القوانين التي تربطها . ولازالت

القوانين محفوظة ، و بناء على استمرار القانون يتصرف الإنسان فى الحياة . وكل الاختراعات التى توصّل إليها الإنسان تعتمد على اطمئنانه إلى قوانين الطبيعة وثباتها واستمرارها ، وإلاَّ لما أمكن أن يصعد الإنسان بطائرة أو بصاروخ إلى الفضاء !! فالطبيعة تخضع لقوانين ثابتة ومستقرة ... وما العلم الذى يدرّس فى المدارس والجامعات والكتب العلمية إلاَّ معرفة بهذه القوانين الثابتة ...

نخلص من هذا الكلام إلى أن الله فضلاً عن خلقته للعالم فهو ضابطه ... ولذا نحن نقول فى صلاة الشكر « الضابط الكل الرب إلهنا » ... هذا هو معنى قول السيد المسيح « **أبى يعمل حتى الآن** » ... **والمقصود بعمل الآب هنا هو المعنى العام - أى عمل الله فى كل الخليقة ، الإنسان وكل الكائنات الحية وغير الحية !!... والسيد المسيح ينسب إلى نفسه المساواة مع الآب فى العمل - الخلق وحفظ الأشياء** ... إلخ .

وبدراسة الأناجيل وحياة السيد المسيح ، نجد أن المسيح عمل جميع أعمال الله ... ويمكننا أن نلاحظ ذلك بدراسة النقاط الآتية :

١ - قـــوة الخـــلق :

معلوم أن الله هو وحده الخالق ... يقول الوحى الإلهى بلسان ملاخى النبى « أليس أب واحد لكُلّنا . أليس **إله واحد خلقنا** » (ملا ٢ : ١٠) ... و يقول المرتل فى المزمور « هلّم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب

خالقنا . لأنه هو إلهنا ونحن شعبه مرعاه وغنم يده » (مز ٩٥ : ٦ ، ٧) ..
بولس الرسول فى مدينة لسترة بعد أن شفى الرجل المقعد من بطن أمه وكانت معجزة بهرت الوثنيين وكهنتهم حتى أنهم أرادوا أن يقدموا ذبائح حيوانية لبولس و برنابا كآلهة ، قال لهم : « أيها الرجال لماذا تفعلون هذا . نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » (أع ١٤ : ٨ - ١٥) ... و بولس أيضاً فى مدينة أثينا يقف و يبشر الوثنيين بعد أن وجدهم يتعبدون لإله مجهول « الذى تتقونه وأنتم تجهلونه ، هذا أنا أنادى لكم به . الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض » (أع ١٧ : ٢٣ ، ٢٤) .

و يوحنا الرسول فى فاتحة إنجيله يقول عن المسيح كلمة الله « إن كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يو ١ : ٣) ... و يقول القديس بولس لأهل كولوسى عن المسيح « الذى هو صورة الله غير المنظور... فإن فيه خُلِقَ الكل ، ما فى السماء وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلِقَ » (كو ١ : ١٥ ، ١٦) ... و يقول للعبرانيين « الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء ، الذى به أيضاً عمل العالمين . الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ١ - ٣) .

وهناك معجزة تفتيح عيني المولود أعمى التي نقرأ عنها في الأصحاح التاسع من إنجيل يوحنا . هذا الرجل لم يكن أعمى بمعنى أنه كان فاقد البصر شأن بقية العميان . لكنه كان حالة فريدة . فقد كان تجويف العين موجوداً بينما المقلتان غير موجودتين . لقد خلق المسيح مقلتين لهذا الأعمى ... أما كيفية ذلك . فقد تفل على الأرض وأخذ من الطين وطلى به عيني المولود أعمى . وقال له إذهب إغتسل في بركة سلوام ، فذهب واغتسل وعاد مبصراً . والطين كما نعلم هو المادة التي خلق الله بها الإنسان في البداية ... ومن الطين خلق المسيح عينين لذلك الرجل ... وكانت المعجزة باهرة وفريدة حتى قيل : « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى » ، فالمسيح نفسه رَدّ البصر لعميان كثيرين ... إذن ففي معجزة المولود أعمى خلق جديد .

ومما يدل على أن معجزة شفاء المولود أعمى لم تكن كغيرها من معجزات شفاء الرب يسوع لعشرات من العميان قبل ذلك ، أن الجماهير استدلت منها على قدرة المسيح على الخلق . فعند قبر لعازر وهو مدفون لأربعة أيام ، لم يتردد الناس عن ثقتهم في قدرة الرب يسوع الخارقة التي ظهرت في المولود أعمى ، إنه لا يستعصى عليه أن يقيم لعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام ... « وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت » (يو ١١ : ٣٧) ...

هنا يسأل الإنسان لماذا اختص الناس بمعجزة تفتيح عيني المولود أعمى بالذكر كدليل على سلطان المسيح المطلق على كل شيء ، وعلى

الاقامة من بين الأموات بعد أن يتعفن الجسد و ينتن ، الأمر الذى لم يقدر عليه نبى من قبل ، ولا يقدر عليه إلاَّ الله وحده ؟ نعود ونقول لماذا اختص الناس معجزة المولود أعمى بالذكر، علماً أنه فتح عيون كثيرين من العميان قبل ذلك ؟! والجواب واضح أن هذه المعجزة هى معجزة خلق لعينين وليست مجرد تفتيح لعينين إنطفأ منهما النور، أو اصابهما التلف .

هذا ولقد احدثت معجزة المولود اعمى ردود فعل عنيفة على الكهنة ورؤسائهم والكتبة والفريسيين ، مما لم يكن له نظير فى معجزات الشفاء السابقة للعميان الآخرين . لقد حدث أخذ ورد كثير بينهم و بين المولود أعمى من ناحية ووالديه من ناحية أخرى . وليس أدل على عظم المعجزة كمعجزة فريدة أن انقساماً حدث بين صفوف الفريسيين ... قال بعضهم عن المسيح « هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . وآخرون قالوا كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات» (٩ : ١٦) ...

وأخذ الفريسيون يحاورون الأعمى الذى تمت معه المعجزة لعله ينكرها ... أخيراً قال لهم « إن فى هذا عجباً أنكم لستم تعلمون من أين هو (المسيح) وقد فتح عينىَّ ... منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً » (يو ٩ : ٣٠ - ٣٣) . وقد غضب الفريسيون من إجابة الرجل الذى كان أعمى ... هذا الغضب قرينة جديدة على أن المعجزة لم تكن معجزة شفاء نظير غيرها مما

صنعه الرب يسوع ، لكنها تفرّدت بأنها خلق من جديد لعينين لم تكونا موجودتين . وإلاَّ فلماذا كانت كل هذه التحقيقات مع الرجل مرات ومع أبو يه ، وانتهى الأمر بطرد الرجل من المجمع اليهودى !!

المعجزة لم تكن إذن معجزة شفاء فقط ، وإنما كانت معجزة خلق لعضو غير موجود أصلاً ... ولما كان عمل الخلق قد تم فى الابتداء من الطين ، لذا اختار المسيح له المجد نفس الأسلوب ليخلق به عينين للمولود أعمى .

على انه من الجدير بالذكر أن المسيح له المجد ليس خالقاً فقط ، إنما هو الخالق لكل الوجود ... لذا قال يوحنا فى فاتحة إنجيله « **كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان ، فيه كانت الحياة ... كان فى العالم ، وكوّن العالم به ، ولم يعرفه العالم** » (يو ١ : ٣ - ١٠) ... و يقول بولس الرسول « لنا إله واحد ، الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، **ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به** » (١ كو ٨ : ٦) ... « **الله خالق الجميع بيسوع المسيح** » (أف ٣ : ٩) .

٢ - قوة حفظ الأشياء :

سبق أن قلنا إن السيد المسيح نسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى العمل : فى الخلق وحفظ الأشياء ... وقلنا إن الحفظ غير الخلق ، لأنه يمكن أن يُخلق الشىء ثم يفنى بعد ذلك ، لكن الله يصون الشىء ويحفظه من الفناء ...

وواضح أن حفظ الكون والأشياء هو من عمل الله ... يقول أيوب

« منحتنى حياة ورحمة ، وحفظت عنايتك روحى » (أى ١٠ : ١٢) ... و يقول داود « أنت يارب تحفظهم تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر » (مز ١٢ : ٧) ... و يقول الرب بلسان إشعياء النبى « أنا الرب قد دعوتك بالبرّ فامسك بيدك واحفظك » (إش ٤٢ : ٦) ... و يقول داود النبى مناجياً الله « احفظ نفسى وأنقذنى » (مز ٢٥ : ٢٠) ... و يقول المرتل « يا محبى الرب ابغضوا الشر ، هو حافظ نفوس أتقيائه » (مز ٩٧ : ١٠) .

ويقول السيد المسيح فى مناجاته للآب التى أوردها يوحنا فى إنجيله « أيها الآب القدوس . أحفظهم فى إسمك الذى أعطيتنى ... حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى إسمك الذين اعطيتنى حفظتهم » (يو ١٧ : ١١ ، ١٢) ... و يقول بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس « لأننى عالم بمن آمنت وموقن انه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) و يقول يهوذا الرسول « والقادر أن يحفظكم غير عاثرين و يوقفكم أمام مجده بلا عيب فى الابتهاج . الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور آمين » (يه ٢٤ ، ٢٥) ... و يقول بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين عن المسيح « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ٣) ... وقد رآه يوحنا فى الرؤيا « ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب » الذين هم ملائكة وخدام السبع الكنائس (رؤ ١ : ١٦ ، ٢٠) و يكلف المسيح يوحنا بالكتابة إلى خادم كنيسة أفسس « هذا يقوله الممسك السبعة الكواكب فى يمينه » (رؤ ٢ : ١) ... وهذه الكلمات تجسّد

كلمات المسيح الراعى الصالح... «خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى . وأنا أعطيها حياة أبدية **ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى . أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل . ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى . أنا والآب واحد**» «يو ١٠ : ٢٧ - ٣٠» .

وهكذا نرى المسيح وحده وسط الأنبياء والمرسلين يعترف له الكتاب بأنه الحفيظ . ولا يستطيع مخلوق كائناً من كان أن يحفظ جميع الخلائق لعدم قدرته على الاحاطة بكل شىء ، ولا تمتد عناية الله بدائرة الكون ، ولا يكون هذا للمسيح له المجد إلاَّ إذا كان هو الله .

٣ - صنع العجائب والمعجزات :

لقد أظهر السيد المسيح فى مجال المعجزات والعجائب التى صنعها سلطانه الكامل على كل الخليقة... لقد اظهر سلطانه على الإنسان ، وعلى مملكة الحيوان ، وعلى مملكة النبات ، وعلى الجمادات ، وعلى عالم الأرواح .

أ - سلطانه على الإنسان :

تنبأ إشعياء النبى قبل مجىء السيد المسيح بنحو ثمانية قرون عن معجزات الشفاء التى سيجريها المسيح فقال «تفرح البرية والأرض اليابسة ، و يبتهج القفر و يُزهر كالنرجس يُزهر أزهاراً و يبتهج ابتهاجاً و يُرنم... هم يرون مجد الرب بهاء الهنا... قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا

تخافوا . هوذا إلهكم ... هو يأتى ويخلصكم . حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالايل ، و يترنم لسان الأخرس » (إش ٣٥ : ١ - ٦) كما تنبأ أيضاً ملاخى النبى قائلاً « ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى اجنحتها » (ملا ٤ : ٢) .

وما أكثر معجزات الشفاء التى أجراها السيد المسيح وليست معجزات الشفاء التى دونها الإنجيليون هى كل ما أجراه المسيح ... فحينما أرسل يوحنا المعمدان وهو بالسجن تلميذين من تلاميذه للسيد المسيح ، قال لهما « إذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون » (مت ١١ : ٢ - ٥)... ومعنى قول المسيح « اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران » ، ان معجزات كثيرة اجراها الرب أمام التلميذين ولم يدونها الإنجيليون... أضف إلى هذا قول يوحنا فى خاتمة إنجيله ... « وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح إبن الله ، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة بإسمه » (يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) .

لقد جاء المسيح طبيباً لمرضى الروح والجسد « لا يحتاج الاصحاء إلى طبيب بل المرضى... لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » ... وكما يقول متى الإنجيل « لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » (مت ٨ : ١٧) .

وإلى جانب معجزات الشفاء الفردية التى اهتم الإنجيليون

بتسجيلها ، فقد كان السيد المسيح يشفى مرضى كثيرين بكل أنواع الأمراض ...

يقول متى الإنجيلى عن شفاء مرضى فى كفرناحوم «ولما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين فاخرج الأرواح بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم» (مت ٨ : ١٦) ... ويقول أيضاً «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . فذاع خبره فى جميع سورية ، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم» (مت ٤ : ٢٣ ، ٢٤) ... ويقول متى أيضاً : «ثم انتقل يسوع من هناك (نواحى صور وصيداء) وجاء إلى جانب بحر الجليل . وصعد إلى الجبل وجلس هناك . فجاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمى وخرس وشُلّ وآخرون كثيرون ، وطرحوهم عند قدمى يسوع فشفاهم ، حتى تعجب الجموع إذ رأوا الخرس يتكلمون والشل يصحون والعرج يمشون والعمى يبصرون . ومجدوا إله إسرائيل» (مت ١٥ : ٢٩ - ٣١) .

وبعد شفاء حماة سمعان بطرس من حمتها يقول مرقس الإنجيلى «ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين . وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب . فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة» (مر ١ : ٣٢ - ٣٤) ... وقبيل معجزة اشباع الالوف من الخمس خبزات وسمكتين يقول القديس لوقا إن

الجموع إذ علموا أن الرب يسوع انصرف إلى موضع خلاء « تبعوه فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله ، **والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم** » (لو ٩ : ١١) . و يتكلم لوقا الإنجيلى عن السيد المسيح الذى شفى مرضى كثيرين من كل أنواع الأمراض و يقول « **وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع** » (لو ٦ : ١٧ - ١٩) ... **و يقول متى عن مرضى أرض جنيسارت إنهم اجتمعوا حوله وطلبوا إليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط . فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء** (مت ١٤ : ٣٤ - ٣٦) .

ونقدم هنا بعض نماذج لمعجزات الشفاء التى صنعها الرب يسوع والتى دونها الإنجيليون :

+ **إبراء العمى** ومن أمثلتهم شفاء اعميين بكفر ناحوم (مت ٩ : ٢٧ - ٣١) . وشفاء اعميين فى اريحا (مت ٢٠ : ٢٩ - ٣٤) . وشفاء بارتيماوس الأعمى بأريحا (مر ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ؛ لو ١٨ : ٣٥ - ٤٣) .

+ **شفاء الصم والخرس** (مت ١٢ : ٢٢ - ٣٧ ؛ مت ٩ : ٣٢ - ٣٤) .

+ **شفاء المجانين** ومن أمثلتهم شفاء مجنون كورة الجدريين الذى كان به لجئون - جيش من الشياطين ، وتعبير لجئون يعبر عن فرقة فى الجيش قوامها ٦٠٠٠ (مر ٥ : ١ - ٢٠ ، لو ٨ : ٢٦ - ٣٩) .

+ **شفاء المفلوجين** ومن أمثلتهم المفلوج الذى حمله الأربعة ودلوه من السقف (مت ٩ : ١ - ٨ ؛ مر ٢ : ١ - ١٢ ؛ لو ٥ : ١٧ - ٢٦) . والإنسان

ذو اليد اليابسة (مت ١٢ : ٩ - ١٣ ؛ مر ٣ : ١ - ٦ ؛ لو ٦ : ٦ - ١١) .
وكذلك غلام قائد المائة فى كفر ناحوم (مت ٨ : ٥ - ١٣ ، لو ٧ : ١ - ١٠) .

+ شفاء مجانين عمى وخرس (مت ١٢ : ٢٢ : ٣٧ ؛ مت ٩ : ٣٢ - ٣٤) .

+ تطهير البرّص - ومن أمثلتهم العشرة البرّص (لو ١٧ : ١١ - ١٩) - والأبرص الذى جاء إليه وسجد له قائلاً « يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرنى » فمد يسوع يده ولمسه قائلاً « اريد فاطهر. وللوقت طهر برصه » (مت ٨ : ١ - ٣) .

+ وشفاء نازفة الدم التى كان لها اثنى عشر سنة بهذه العلة (مت ٩ : ٢٠ - ٢٢ ؛ مر ٥ : ٢٥ - ٣٤) .

+ شفاء المستسق (لو ١٤ : ١ - ٤) .

+ شفاء المصابين بالحمى (مت ٨ : ١٤ - ١٧ ؛ مر ١ : ٢٩ - ٣٤ ؛ لو ٤ : ٣٨ - ٤١) .

+ لصق اذن مقطوعة (لو ٢٢ : ٥٠ ، ٥١) .

+ ويجب أن نشير هنا إلى أن معجزات الشفاء التى اجراها السيد المسيح تختلف عن معجزات الشفاء التى تمت على أيدى الأنبياء السابقين ، ليس من جهة كمها الهائل ونوعيتها ، بل من جهة الكيفية التى تمت بها ... فالمعجزات التى عملها المسيح عملها بقوته الشخصية ، أما معجزات الأنبياء السابقين فبأمر الله ...

فموسى مثلاً صنع آيات بأمر الله ... « قال له الرب ما هذه فى يدك . فقال عصا . فقال اطرحها إلى الأرض ، فطرحها إلى الأرض ، فصارت حية ، فهرب موسى منها . ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها ، فمد يده وامسك بها فصارت عصا فى يده... وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون » (خر ٤ : ٢ـ ٤ ، ٢١) .

وإيليا النبى لما أقام ابن الأرملة بصرفة صيدا الذى كان قد مات ، لم يقمه من الموت بقوته الشخصية بل أنه « صرخ إلى الرب ، وقال يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش » (١ مل ١٧ : ٢١ ، ٢٢)... وكذلك عندما منع إيليا المطر قال فى صلاته « وإنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت هذه الأمور» (١ مل ١٨ : ٣٦) .

واليشع النبى لم يُعِد الحياة إلى الصبى ابن المرأة الشونمية الذى كان قد مات بقوته الذاتية لكنه « دخل واغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب » (٢ مل ٤ : ٣٣) .

+ **وأما الذين صنعوا الآيات والمعجزات والعجائب فى زمن المسيح وبعده فقد صنعوها بإسمه وبالسلطان الذى أعطاه لهم**... وحينما اختار رسله الاثنى عشر دعاهم « **وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف** » (مت ١٠ : ١ ؛ مر ٦ : ٧ ؛ لو ١ : ١)... **وحينما اختار رسله السبعين أعطاهم**

سلطاناً على شفاء الأمراض ، وأرسلهم فى ارساليات تدريبية ، فعادوا وقالوا له بفرح « يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » ، فكان جوابه عليهم « ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضرّكم شيء » (لو ١٠ : ١٧ - ١٩) ... وقبيل صعود السيد المسيح إلى السماء قال لرسله وتلاميذه « وهذه الآيات (المعجزات) تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ... يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرّهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مر ١٦ : ١٧ ، ١٨) ...

كان هذا هو السلطان الذى أعطاه السيد المسيح لرسله وتلاميذه . فكيف مارس هؤلاء الرسل على المستوى العملى هذا السلطان ؟

شفى الرسولان بطرس ويوحنا إنساناً مقعداً ، كان له أكثر من أربعين سنة بهذه الحالة ، وكان يجلس عند أحد أبواب الهيكل اليهودى يستعطى ، فى بادىء الأمر تفرس هذا الرجل فى الرسولين بطرس و يوحنا وسألهما صدقة . فقال له بطرس « ليس لى فضة ولا ذهب ، ولكن الذى لى فإياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش ، وأمسكه بيده اليمنى وأقامه . ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه ، فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشى و يطفر و يسبح الله ، و بعد أن شفى هذا المقعد ، أحدث شفاؤه ضجة كبيرة بين الشعب اليهودى المجتمع فى الهيكل ، فوقف بطرس وقال لهم « أيها الرجال الاسرائيليون ما

بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا، كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى. إن إله إبراهيم وإسحق و يعقوب، إله آبائنا مجّد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم باطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يُوهب لكم رجل قاتل، ورئيس الحياة قتلتموه... وبالإيمان باسمه شدّد أسمه هذا الذى تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم» (أع ٣: ١ - ١٦)... هذا وبسبب هذه المعجزة ارتفع عدد المؤمنين بالمسيح من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف.

و بطرس الرسول أيضاً فى مدينة لدّه شفى إنساناً إسمه اينياس، كان مفلوجاً لمدة ثمان سنوات بقوله له «يا اينياس يشفيك يسوع المسيح. قم وافرش لنفسك فقام للوقت» (أع ٩: ٣٢ - ٣٤).

ولما رأى اليهود الذين صناعتهم التعزيم على الأرواح الشريرة لكى تخرج، أن تلك الأرواح كانت تخرج على أيدى الرسل باسم الرب يسوع بكل سهولة و يُسْر، شرع قوم منهم فى مدينة أفسس يسمّون على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين «نقسم عليك بيسوع المسيح الذى يكرز به بولس». فأجاب الروح الشرير وقال «أما يسوع فأنا أعرفه، وبولس أنا أعلمه وأما أنتم فمن أنتم». ووثب عليهم الإنسان الذى كان به الروح الشرير وغلبهم وقوى عليهم وجرّحهم (أع ١٩: ١٣ - ١٦).

وفى مدينة فيلبى التقى القديس بولس الرسول بجارية بها روح

عرافة وكانت تُكسب مواليها مكسباً كثيراً بعرافتها . هذه الجارية سارت خلف القديس بولس وأخذت تصيح فى الناس قائلة عن بولس ولوقا « هؤلاء الناس هم عبيد الله العلىّ الذين ينادون لكم بطريق الخلاص » . وتكرر هذا الأمر منها أياماً كثيرة « فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . فخرج فى تلك الساعة » (أع ١٦ : ١٦ - ١٨) .

رأينا كيف كان أنبياء العهد القديم يصنعون المعجزات بالتوسل إلى الله وطلب معونته . ورأينا أيضاً كيف أن الرب يسوع المسيح بسلطانه وحده كان يصنع المعجزات . وكيف أن رسله وتلاميذه قد صنعوا المعجزات على اسمه و بالسلطان المعطى لهم منه .

وقد اعترف المرضى واقروا بسلطانه المطلق على شفاء أمراضهم ... فقد قال الأبرص للمسيح له المجد « إن أردت تقدر أن تطهرنى » . قال له الرب يسوع « أريد فاطهر » (مت ٨ : ٢ ، ٣) ... وقائد المائة الوثنى الذى كان غلامه مفلوجاً فى مدينة كفرناحوم قال للرب يسوع « ياسيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى » . قال له الرب يسوع « إذهب وكما آمنت ليكن لك ، فبرأ غلامه فى تلك الساعة » (مت ٨ : ٥ - ١٣) ...

+ فلو كان المسيح مجرد إنسان أو واحد من الأنبياء لكان واجب الأمانة يقتضيه أن يقول للأبرص مصححاً له اعتقاده : لا تقل إن أردت تقدر أن تطهرنى . بل قل إذا أراد الله لك تقدر أن تطهرنى . لكن المسيح لم

يعترض على كلمات الأبرص التى كانت تعبّر عن حقيقة لاهوته وسلطانه المطلق... وكذلك فعل مع قائد المائة. فلو كان السيد المسيح مجرد نبى لوجب عليه أن يقول له: إن الأمر لله وحده، إذا قال للشىء كن فيكون فليست الكلمة كلمتى ولا القول قولى. لكنه ساعد قائد المائة على المضى فى اعتقاده بقوة المسيح وبقوة كلمته، وثبّته على الإيمان به شخصياً.

ومَنْ من الأنبياء أو الرسل تجاسر وأعطى سلطاناً لغيره على صنع المعجزات؟! لكن هذا ما فعله المسيح مع تلاميذه... وما أصدق وأروع ما قاله يوحنا فى فاتحة إنجيله «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه... ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطى. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٢-١٧).

+ تبقى نقطة ونحن نتكلم عن سلطان السيد المسيح على الإنسان... تكلمنا عن سلطانه فى شفاء الأمراض الجسدية، وبقى أن نتكلم عن معجزاته الروحية أو شفاء الأمراض الروحية... ونقصد بشفاء الأمراض الروحية، احياء الأرواح المائتة بالخطية.

يقول الرب يسوع «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٤، ٢٥) والمقصود بالأموات هنا الأموات روحياً أى الخطاة والأشرار... وللدلالة

على ذلك قال بعدها مباشرة « تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) ...

وقال أيضاً « أعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه ... لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة من يقبل إلىَّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً » (يو ٦ : ٢٧ ، ٣٣ - ٣٥) .

نفس المعنى قاله السيد المسيح للمرأة السامرية الخاطئة ... « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) . وهذا الكلام يوافق ما قاله بولس الرسول عن المسيح آدم الثانى « صار آدم الإنسان الأول نفساً حية ، وآدم الآخير روحاً محيياً » (١ كو ١٥ : ٤٥) .

وقبيل مولد السيد المسيح بالجسد ، بينما كانت العذراء مريم حاملاً بمولودها الإلهى ارتاب خطيبها يوسف فيها ، فظهر له ملاك الرب فى حلم قائلاً « يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك ، لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢٠ ، ٢١) ... وعن هذا المعنى يقول بطرس الرسول « وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر

تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع ٤ : ١٢).

ومن معجزاته الروحية أن السيد المسيح يعطي بصيرة للناس لمعرفة الحق كما يقول يوحنا الرسول «**ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا** هو **الإله الحق والحياة الأبدية**» (١ يو ٥ : ٢٠)... **وهو كذلك** ينير **الحياة** كما يقول القديس بولس «**مخلصنا يسوع المسيح الذي** ابطل **الموت وأنار الحياة والخلود** بواسطة الإنجيل» (٢ تي ١ : ١٠).

ب ـ سلطانه على مملكة الحيوان :

في العهد القديم يمكننا أن نرى سلطان الله على مملكة الحيوان... فمثلاً في **قصة يونان النبي**، بعد أن طرحه نوتية السفينة في البحر، يقول... «**وأما الرب فأعدّ حوتاً عظيماً** ليبتلع يونان. **فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ**... وأمر الرب **الحوت فقذف يونان** إلى **البرّ**» (يونان ١ : ١٧؛ ٢ : ١٠). وهكذا نرى كيف **أن الحوت** وهو حيوان مفترس كان مطيعاً لله. فقد اتجه إلى السفينة حيث أُلقي يونان إلى البحر، وابتلع يونان وحفظه في داخله حتى أن النبي رفع صلاة إلى الله من بطن الحوت!! وأخيراً قذف به إلى اليابسة التي أرادها الله...

وفي قصة إيليا النبي ـ بعد أن قفل **السماء** بصلاته فلم تعد تمطر، يقول الوحي **الإلهي** «وكان كلام الرب له (**إيليا**) قائلاً، **انطلق من** هنا **واتجه نحو المشرق** واختبىء عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن،

فتشرب من النهر . **وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك . فانطلق وعمل** حسب كلام الرب ، وذهب فأقام عند نهر كريث الذى هو مقابل الأردن . **وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً ، وبخبز ولحم مساءً** ، وكان يشرب من النهر» (١ مل ١٧ : ٢ - ٦) .

و يروى سفر العدد فى العهد القديم كيف أن بالاق ملك موآب أرسل يستدعى بَلْعام بن بعور ليلعن شعب إسرائيل ، فقال الله لبلعام ان لا يذهب إلى بالاق وتكرر الأمر مرتين . وركب بلعام أتانه وانطلق مع رسل ملك موآب . وفى الطريق تصدى ملاك الرب له . وكانت الأتان هى وحدها التى ترى ملاك الرب يمنعها من المضى . فلما حمى غضب بلعام على الأتان ضربها ثلاث مرات ... يقول الكتاب المقدس «**ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام ، ماذا صنعتُ بكَ حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات . فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بى . لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك . فقالت الأتان لبلعام الست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم . هل تعودت أن أفعل بك هكذا . فقال لا . ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده ...**» (عدد ٢٢) .

هذه بعض أمثلة من العهد القديم عن سلطان الله على مملكة الحيوان ... وفى العهد الجديد نرى المسيح يمارس سلطانه كاملاً على عالم الحيوان من خلال ثلاث معجزات .

الأولى ، معجزة صيد السمك الكثير و يوردها معلمنا القديس لوقا في إنجيله (٥ : ١ - ١١) « وإذا كان الجمع يزدحم عليه (الرب يسوع) ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت . فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة ، والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك . فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان وسأله أن يبعد قليلاً عن البرّ. ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة . ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد إلى العمق والقوا شباككم للصيد . فأجاب سمعان وقال له يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ، ولكن على كلمتك ألقي الشبكة . ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرق . فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا و يساعدوهم . فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق . فلما رأى سمعان بطرس ذلك خرّ عند ركبتي يسوع قائلاً أخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطىء ، إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذوه . وكذلك أيضاً يعقوب و يوحنا ابنا زبدى اللذين كانا شريكي سمعان . فقال يسوع لسمعان لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس . ولما جاءوا بالسفينتين إلى البرّ تركوا كل شيء وتبعوه » .

هنا نرى السيد المسيح رفد منع السمك - ولا سمكة واحدة - من الاقتراب إلى شباك سمعان بطرس .. ورغم تمرّسه على أعمال الصيد فقد تعب الليل كله ولم يصطد شيئاً .. وعلى الرغم من أن السمك يصح و يصلح صيده أثناء الليل ، فقد حقق السيد المسيح معجزة

عظيمة أثناء النهار على عكس ما أعتاد الصيادون أن يمارسوا صيدهم بالليل ... ثم ما هذه الكثرة الهائلة من السمك التي اندفعت بأمر السيد المسيح وسلطانه إلى شبكة بطرس حتى أن الشبكة بدأت تتخرق ، وعجزوا عن جذبها ، فاستعانوا بزملائهم في السفينة الأخرى التي ليعقوب و يوحنا ابني زبدى... وكانت المعجزة هكذا عظيمة حتى أن بطرس تملكته الدهشة وخرَّ عند ركبتي السيد المسيح وطلب إليه أن يغادر سفينته لأنه رجل خاطىء... وهذه الدهشة التي تملكت سمعان بطرس شاركه فيها جميع الذين معه «إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذوه» ...

المعجزة الثانية في موضوع صيد السمك أيضاً تمت عقب قيامة السيد المسيح من بين الأموات و يرويها القديس يوحنا في إنجيله... «بعد هذا اظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية . ظهر هكذا . كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وأبنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم . قال لهم سمعان بطرس أنا اذهب لأتصيّد . قالوا له نذهب نحن أيضاً معك فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت . وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً . ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطىء . ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع . فقال لهم يسوع يا غلمان العل عندكم اداماً . أجابوه لا . فقال لهم القوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا . فألقوا ولم يعودوا يقدرون

أن يجذبوها من كثرة السمك » (يو ٢١ : ١ - ٦) ...

والتشابه واضح بين المعجزة الأولى وهذه المعجزة ... لكن يضاف إليها أن السيد المسيح لكى يظهر علمه بالخفايا و بسلطانه على مملكة الحيوان قال لهم « القوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا » ... إنه هنا منع السمك طوال الليل من الاقتراب إلى شبكة بطرس . و بعد ذلك يحدد هو لهم المكان « جانب السفينة الأيمن » !! أما نتيجة هذه المعجزة أن يوحنا حبيب الرب تعرّف على السيد المسيح بعد أن منع عنهم هذه المعرفة فى بادىء الأمر، وقال لبطرس « هو الرب » ... **فكيف منع المسيح السمك طوال الليل ، وكيف جمعه كله إلى جانب السفينة الأيمن ؟! أليس ذلك يكشف عن سلطان المسيح المطلق على عالم الحيوان .**

أما المعجزة الثالثة فيوردها معلمنا متى الإنجيلى ... « ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا : أما يوفى معلمكم الدرهمين . قال بلى . فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً ماذا تظن يا سمعان . ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بينهم أم من الأجانب . قال له بطرس من الأجانب . قال له يسوع فإذاً البنون أحرار . ولكن لئلا نعثرهم إذهب إلى البحر والق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها . ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك » (مت ١٧ : ٢٤ - ٢٧) ...

هنا نرى المسيح يظهر معرفته بالخفايا وتحدد هذه السمكة بعينها التى فى فيها استار... هذه معجزة ثالثة توضح سلطان المسيح المطلق

على عالم الحيوان .

جـ ـ سلطانه على مملكة النبات :

كمثال لسلطان الله على مملكة النبات قصة يقطينة يونان ... فبعد أن قدم شعب مدينة نينوى توبة خالصة لله ورجعوا عن طريقهم الرديئة ، خرج يونان من المدينة وجلس شرقها وصنع لنفسه مظلة واستظل بها ... « فأعدّ الرب الإله يقطينة ، فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه لكي يخلصه من غمّه . ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً . ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر فى الغد فضربت اليقطينة فيبست . وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحاً شرقية حارة فضربت الشمس على رأس يونان » (يونان ٤ : ٦ ـ ٨) .

والسيد المسيح بكلمة واحدة منه يبست شجرة تين ... كان ذلك يوافق يوم اثنين البصخة ... كان المسيح خلال الثلاثة أيام الأولى من هذا الأسبوع يبيت فى مدينة بيت عنيا وفى الصباح يذهب إلى أورشليم ... **فحدث وهو فى طريقه فى صباح يوم الاثنين من بيت عنيا إلى** أورشليم أنه **نظر شجرة تين تحمل ورقاً وليس بها ثمر. فقال السيد** المسيح لشجرة التين **« لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال »** (مت ٢١ : ١٧ ـ ٢٢ ؛ مر ١١ : ١٢ ـ ١٤ ، ٢٠ ـ ٢٤) ... **هكذا نرى المسيح يظهر سلطانه على شجرة التين ، على نحو ما أظهر الله سلطانه فى العهد القديم فيما يختص بيقطينة يونان .**

د ـ سلطانه على الجمادات :

يتحدث كتاب العهد القديم عن سلطان الله المطلق على الجمادات... فمنذ بدء الخليقة قال الله « لتتجمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك » (تك ١ : ٩)... وتتحدث المزامير كثيراً عن هذا الأمر... يقول « أبصرتْكَ المياه يا الله ، أبصرتْكَ المياه ففزعت . ارتعدت أيضاً اللجج... فى البحر طريقك وسُبلك فى المياه الكثيرة » (مز ٧٧ : ١٦ ـ ١٩)... « لأنى أنا قد عرفت أن الرب عظيم ، وربنا فوق جميع الآلهة . كل ما شاء الرب صنع فى السموات وفى الأرض ، فى البحار وفى كل اللجج . المصعد السحاب من أقاصى الأرض . الصانع بروقاً للمطر . المخرج الريح من خزائنه » (مز ١٣٥ : ٥ ـ ٧) . « اللابس النور كثوب . الباسط السموات كشقه . المسقف علاليه بالمياه . الجاعل السحاب مركبته . الماشى على أجنحة الريح... المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد » (مز ١٠٤ : ٢ ـ ٥) .

وفى العهد الجديد نرى السيد المسيح يظهر سلطانه المطلق على الجمادات... فقد حوّل الماء إلى خمر جيدة فى عرس قانا الجليل بعد أن فرغت الخمر التى كانت عندهم (يو ٢ : ١ ـ ١١)... ثم نرى السيد المسيح يمشى على الماء... « وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر إلى بيت صيدا حتى يكون قد صرف الجمع . وبعد ما ودّعهم مضى إلى الجبل ليصلى . ولما صار المساء كانت السفينة فى وسط

البحر وهو على البرّ وحده. ورآهم معذبين فى الجذف لأن الريح كانت ضدهم. ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر، وأراد أن يتجاوزهم. فلما رأوه ماشياً على البحر ظنّوه خيالاً فصرخوا. لأن الجميع رأوه واضطربوا. فللوقت كلمهم وقال لهم ثقوا أنا هو لا تخافوا. فصعد إليهم إلى السفينة فسكنت الريح. فبهتوا وتعجبوا فى أنفسهم جداً إلى الغاية» (مر ٦: ٤٥- ٥١).

كيف استطاع المسيح له المجد أن يغيّر طبيعة الماء السائلة فلا تغوص قدماه فيه؟! ولكنه سلطانه المطلق، فلقد غيّر بأمره وسلطانه طبيعة الماء لتصبح كاليابس ويسير عليه. وهذا عين ما فعله الله قديماً مع شعب إسرائيل فى خروجهم من أرض مصر وعبورهم البحر الأحمر. فقد سار بنو إسرائيل فى مياه البحر كاليابسة (خر ١٤: ١٦، ٢١، ٢٧).

وفى هذه المرة التى سار فيها السيد المسيح على الماء، لم يَسِرْ وحده، بل جعل بطرس أيضاً يسير على الماء حينما طلب منه ذلك (مت ١٤: ٢٢- ٣٢)... أما نتيجة هذه المعجزة فجعلت الذين فى السفينة يسجدون له قائلين «بالحقيقة أنت ابن الله» (مت ١٤: ٣٣).

وفى مرة ثانية يروى لنا القديس يوحنا الإنجيلى قصة مشى الرب يسوع على الماء... «ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر، فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفر ناحوم. وكان الظلام قد اقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. **وهاج البحر من ريح عظيمة تهب.**

فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غَلْوة، نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة فخافوا. فقال لهم أنا هو لا تخافوا. فرضوا أن يقبلوه فى السفينة وللوقت سارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين إليها» (يو ٦: ١٦- ٢١).

ثم نرى السيد المسيح أيضاً يظهر سلطانه المطلق على الريح فتهدأ والبحر والأمواج فتسكت... فى إحدى المرات دخل السيد المسيح سفينة ومعه تلاميذه «وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة. وكان هو نائماً. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيّد نجنا فإننا نهلك. فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان. ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم. فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا. فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه» (مت ٨: ٢٣- ٢٧؛ مر ٤: ٣٥- ٤١؛ لو ٨: ٢٢- ٢٥).

هـ - سلطانه على عالم الأرواح:

ونقصد بكلامنا هنا سلطان السيد المسيح على الشياطين والأرواح الشريرة وإن كانت الأرواح كلها بما فيها الملائكة خاضعة لسلطانه... ففى تجربة إبليس للسيد المسيح، وبعد أن انتهره اخيراً يقول الإنجيل المقدس «ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» (مت ٤: ١١؛ مر ١: ١٣)... ويقول القديس بطرس «يسوع المسيح الذى هو فى يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة

له » (١ بط ٣ : ٢٢) ... ولا عجب فإن الخلائق كلها خاضعة له حسبما يقول بولس الرسول « لأنه إذ اخضع الكل لم يترك شيئاً غير خاضع له » (عب ٢ : ٨) ...

نعود إلى الشيطان ونقول إن قوته لا يستهان بها ، لذا دعى « رئيس هذا العالم » (يو ١٢ : ٣١ ؛ ١٤ : ٣٠ ؛ ١٦ : ١٠) . ودُعى « رئيس سلطان الهواء » (أف ٢ : ٢) . ودُعى « إله هذا الدهر » (٢ كو ٤ : ٤) . ودعا بولس الشياطين « أجناد الشر الروحية فى السموات » (أف ٦ : ١٢) ... هذا عن أسماء الشيطان التى تدل على قوته وسلطانه فى هذا العالم ...

لكن كمثال لهذه القوة نسوق مثالاً من سفر دانيال ... كان دانيال النبى صائماً لمدة ثلاثة أسابيع بعد أن أُعلنت له رؤيا إلهية وتملكه رعب شديد وإذا بجبرائيل أحد رؤساء الملائكة ظهر له ولمسه بيده وقال له : « لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سُمع كلامك ، وأنا أتيتُ لأجل كلامك . ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحداً وعشرين يوماً ، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى . وأنا أُبقيت هناك عند ملوك فارس » (دانيال ١٠ : ١٢ ، ١٣) ... وليس رئيس مملكة فارس سوى أحد رؤساء الشياطين الموكول إليهم مملكة فارس ... ولننظر كيف استطاع أحد رؤساء الشياطين وهو رئيس مملكة فارس أن يعوق رئيس الملائكة جبرائيل عن الوصول إلى دانيال النبى ليبلغه رسالة إلهية لمدة ثلاثة أسابيع !! ونعتقد أن

هذا يكشف لنا قوة الشيطان رئيس هذا العالم ...

لكن مع هذه القوة فإن الشيطان شأنه شأن بقية الخلائق خاضع لله . ولدينا مثال جيد على ذلك من قصة أيوب الصديق ... ففي تجربة الشيطان لأيوب كان يجربه في حدود ما يسمح به الله له . وهذا واضح من قول الله للشيطان « هوذا كل ما له في يدك . وإنما إليه لا تمد يدك » (أي ١ : ١٢) ... وفي تجربة ثانية يقول الله للشيطان فيما يختص بأيوب « ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه » (أى ٢ : ٦) ...

نفس سلطان الله الواضح في العهد القديم على الشيطان نراه في العهد الجديد في السلطان الكامل الذي استخدمه السيد المسيح مع الشياطين التي تسمى أحياناً الأرواح الشريرة أو الأرواح النجسة ...

هناك في الأناجيل إشارات إلى سلطان السيد المسيح على الشياطين بصفة عامة ففي معجزة شفاء حماة سمعان بطرس يقول الإنجيل « وعند غروب الشمس جميع الذين كانوا عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه . فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم . **وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح إبن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم قد عرفوه أنه المسيح** » (لو ٤ : ٤٠ ، ٤١ ؛ مر ١ : ٣٤ ؛ مت ٨ : ١٦) .

ويذكر مرقس الرسول في فاتحة إنجيله عن المسيح انه « **كان يكرز في مجامعهم في كل الجليل ويخرج شياطين** » (مر ١ : ٣٩) ... وقال للفريسيين الذين نصحوه قبيل أحداث الصليب أن يهرب من وجه

هيرودس الملك اليهودى لأنه يريد أن يقتله « امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها نا اخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً ، وفى اليوم الثالث أكمل » (لو ١٢ : ٣٢) ... ولما عاين الكتبة كثرة حالات إخراج الشياطين قالوا عن السيد المسيح « إن معه بعلزبول . وانه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مر ٣ : ٢٢) .

هذا عن الاشارات العامة التى اوردها الإنجيليون عن السيد المسيح فى إخراجه الشياطين . لكن الإنجيل المقدس دوّن لنا أمثلة محددة نذكر بعضها :

+ فلقد اخرج المسيح روحاً نجساً من رجل فى المجمع اليهودى بكفر ناحوم ... « وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس ، فصرخ قائلاً آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله . فانتهره يسوع قائلاً أخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه . فتحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين ما هذا . ما هو هذا التعليم الجديد ، لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه » (مر ١ : ٢١ - ٢٧ ؛ لو ٤ : ٣٣ - ٣٦) .

+ وأخرج شيطاناً من مجنون أعمى وأخرس فشفى وتكلم وأبصر... ومن فرط العدد الهائل الذى كان يخرجه من الشياطين ادعى عليه الفريسيون أنه يستعين فى إخراج الشيطان بقوة بعلزبول رئيس الشياطين ... وهنا يدلل المسيح على بهتانهم بأن كل مدينة أو بيت ينقسم على ذاته يخرب ولا يثبت . وإن كان الشيطان يخرج شيطاناً فقد إنقسم

على ذاته . ولا يستطيع أن يُخرج القوى إلاّ من كان أقوى منه !! وقال لهم « إن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم (اليهود) بمن يُخرجون . لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (مت ١٢ : ٢٢ - ٣٧ ؛ مر ٣ : ٢٠ - ٣٠ ؛ لو ١١ : ١٤ - ٢٣) .

+ وأخرج اعداداً هائلة من الشياطين من إنسان بكورة الجدريين (الجرجسيين) . كان يسكن بين القبور « ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل . لأنه قد رُبط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود . فلم يقدر أحد أن يذلله . وكان دائماً ليلاً ونهاراً فى الجبال وفى القبور يصيح ويجرّح نفسه بالحجارة . فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له . وصرخ بصوت عظيم وقال ما لى ولك يا يسوع ابن الله العلى . أستحلفك بالله أن لا تعذبنى . لأنه قال له اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس . وسأله ما أسمك . فاجاب قائلاً إسمى لجئون لأننا كثيرون . فطلب إليه كثيراً أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة . وكان هناك عند الجبل قطيع كبير من الخنازير يرعى . فطلب إليه كل الشياطين قائلين إرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها . فأذن لهم يسوع للوقت . فخرجت الأرواح النجسة ودخلت فى الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر . وكان نحو الفين ، فاختنق فى البحر . وأما رعاة الخنازير فهربوا واخبروا فى المدينة وفى الضياع . فخرجوا ليروا ما جرى . وجاءوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذى

كان فيه اللجئون جالساً ولابساً وعاقلاً فخافوا . فحدثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير. فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضى عن تخومهم . ولما دخل السفينة طلب إليه الذى كان مجنوناً أن يكون معه . فلم يدعه يسوع بل قال له إذهب إلى بيتك وإلى اهلك واخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك ، فمضى وابتدأ ينادى فى العشر المدن كم صنع به يسوع . فتعجب الجميع » (مر ٥ : ١ - ٢٠ - أنظر مت ٨ : ٢٨ - ٣٤ ؛ لو ٨ : ٢٦ - ٣٩)... واللجئون فرقة رومانية من الجند عددها ٦٠٠٠ والمقصود أن الشياطين كانوا كثيرين...

+ وأخرج سبعة شياطين من مريم المجدلية (مر ١٦ : ٩) .

+ وأخرج شيطاناً من ابنة المرأة الكنعانية (مت ١٥ : ٢١ - ٢٨ ؛ مر ٧ : ٢٤ - ٣٠) .

+ وأخرج شيطاناً من صبى جاء إليه أبوه وجثا له وطلب إليه أن يرحم ابنه فإنه يُصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً فى النار والماء . فانتهر الرب يسوع الشيطان فخرج منه وشفى الغلام فى الحال (مت ١٧ : ١٤ - ٢١ ؛ مر ٩ : ١٤ - ٢٩ ؛ لو ٩ : ٣٧ - ٤٣) .

+ وشفى السيد المسيح المرأة المنحنية التى كان بها روح ضعف لمدة ثمانى عشر سنة . وتمت هذه المعجزة فى يوم السبت . فاعترض رئيس المجمع حيث تمت معجزة الشفاء . فقال الرب يسوع له « يا مرائى ألا يحلّ كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه . وهذه وهى إبنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة

سنة ، أما كان ينبغى أن تُحلّ من هذا الرباط فى يوم السبت ؟! »
(لو ١٣ : ١٠ - ١٦).

+ والأمر لم يقتصر فى إخراج الشياطين على سلطان السيد المسيح ، لكن تلك الأرواح الشريرة كانت تعترف بلاهوته ...

+ ففى اخراج الشيطان من مجنون كورة الجدريين صرخت الشياطين قائلة « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله اجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا » (مت ٨ : ٢٩).

+ والرجل الذى أخرج منه السيد المسيح الروح النجس فى المجمع بكفر ناحوم صرخ قائلاً « آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله » (مر ١ : ٢٣ : ٢٤) ...

رابعاً المسيح قَبِلَ السجود والتعبّد له :

أ - من المعلوم أن سجود العبادة هو للرب الإله وحده ولا يجوز السجود لسواه . ولذا فقد أعطى الوصية الثانية من الوصايا العشر وفيها يقول لبنى إسرائيل « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خر ٢٠ : ٤ ، ٥ ؛ تث ٥ : ٩) ... ويقول داود فى المزمور « وتسجد قدامك كل قبائل الأرض ... كل الأرض تسجد لك » (مز ٢٢ : ٢٧ ؛ ٦٦ : ٤) ... ويقول الوحى الإلهى بلسان موسى النبى « فإنك لا تسجد لإله آخر ، لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو »

(خر ٣٤ : ١٤) ... وفى تجربة إبليس للسيد المسيح، لخصّ كل ذلك فى عبارة جامعة مانعة حين طلب إبليس أن يسجد له مقابل اعطائه جميع ممالك العالم ومجدها، بقوله «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت ٤ : ١٠؛ لو ٤ : ٨).

والسيد المسيح فى مناسبات مختلفة قبل السجود من كثيرين ...

فحسب تفسير آباء الكنيسة أن يوحنا المعمدان وهو بعد جنين فى بطن أمه اليصابات، سجد للسيد المسيح وهو أيضاً جنين فى بطن أمه العذراء الطاهرة، وهذا هو ما عبرت عنه اليصابات للعذراء مريم «من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ. فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنىَّ ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى» (لو ١ : ٤٣، ٤٤).

والمجوس سجدوا للمسيح طفلاً عقب ولادته «وإذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له... وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه، فخروا وسجدوا له» (مت ٢ : ٢، ١١).

وسمعان بطرس عقب معجزة صيد السمك الكثير «خرّ عند ركبتى يسوع قائلاً اخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء» (لو ٥ : ٨).

وقبل السجود من أحد رؤساء المجمع الذى ماتت ابنته «وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن ابنتى الآن ماتت، لكن تعالَ وضع يدك عليها فتحيا. فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه» (مت ٩ :

١٨ ، ١٩ ؛ مر ٥ : ٢٢ - ٢٤ ؛ لو ٨ : ٤١ ، ٤٢) .

وفى معجزة مشى السيد المسيح على الماء . جاء إلى تلاميذه فى الهزيع الرابع من الليل ماشياً على الماء إذ كانوا معذبين فى السفينة بسبب الريح والأمواج . ولما دخل السفينة سكنت الريح « والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله » (مت ١٤ : ٣٣) .

والمرأة الكنعانية التى كانت ابنتها معذبة من روح نجس « أتت وسجدت له قائلة يا سيد اعنى » (مت ١٥ : ٢٥) .

وأم ابنى زبدى تقدمت إليه مع ابنيها وسجدت له طالبة منه أن يجلس ابناها واحد عن يمينه والآخر عن يساره فى ملكوته (مت ٢٠ : ٢٠ ، ٢١) .

والأبرص الذى شفاه المسيح وطهره من برصه ضمن عشرة برص ، حالما اكتشف شفاءه ، عاد إلى السيد المسيح « وخر على وجهه عند رجليه شاكراً له » (لو ١٧ : ١٦) .

والمولود أعمى الذى شفاه المسيح وخلق له عينين من الطين ، بعد أن حكم عليه الفريسيون بأن يُطرد من المجمع ، قابله الرب يسوع وقال له « أتؤمن بابن الله . أجاب ذاك وقال من هو يا سيد لأؤمن به . فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو . فقال أؤمن يا سيد وسجد له » (يو ٩ : ٣٥ - ٣٨) .

وإنسان كورة الجدريين الذى كانت فيه شياطين كثيرة جداً

(لجيئون) «لما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له. وصرخ بصوت عظيم وقال ما لى ولك يا يسوع إبن الله العلى. أستحلفك بالله ألاَّ تعذبنى» (مر ٥: ٦، ٧).

ومريم المجدلية ومريم أخرى فى فجر أحد القيامة لاقاهما يسوع «وقال سلام لكما. فتقدمتا وامسكتا بقدميه وسجدتا له» (مت ٢٨: ٩).

وقبيل صعوده إلى السماء لما رآه تلاميذه فى جبل الجليل سجدوا له (مت ٢٨: ١٧). ويذكر القديس لوقا أنه اخرج تلاميذه «خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هويباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء. فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم» (لو ٢٤: ٥٠- ٥٢)... ويذكر متى فى إنجيله أن التلاميذ ـ قبيل صعود الرب يسوع إلى السماء ـ «لما رأوه سجدوا له... فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دُفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٧- ١٩).

ويقول القديس بولس الرسول إلى أهل فيلبى «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (فى ٢: ١٠)... ويتكلم فى العبرانيين عن سجود الملائكة له فيقول «وأيضاً متى أَدْخَل البكرَ إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١: ٦).

ويوحنا فى سفر الرؤيا يشير إلى سجود الخلائق للمسيح « ورأيت فاذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة، وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض. فأتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش. ولما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف » (رؤ ٥ : ٦ - ٨) ... ولا يستطيع أحد أن يخطىء أن الخروف المذبوح يشير إلى الرب يسوع المسيح له المجد.

وهناك إشارات فى العهد الجديد تشير إلى تحريم السجود للأشخاص من البشر مهما كانوا على جانب كبير من القداسة، بل ولا حتى للملائكة ...

فى قصة إيمان كرنيليوس قائد المائة، لما أرسل واستدعى بطرس الرسول بناء على الرؤيا التى أعلنت له... يقول سفر أعمال الرسل « ولما دخل بطرس استقبله كرنيليوس وسجد واقعاً على قدميه. فأقامه بطرس قائلاً قم أنا أيضاً إنسان » (أع ١٠ : ٢٥، ٢٦).

ويقول القديس يوحنا فى خاتمة سفر الرؤيا التى أعلنت له « وأنا يوحنا الذى كان ينظر ويسمع هذا. وحين سمعت ونظرت خررت لأسجد أمام رجلى الملاك الذى كان يرينى هذا. فقال لى انظر لا تفعل. لأنى عبد معك ومع اخوتك الأنبياء والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد لله » (رؤ ٢٢ : ٨، ٩؛ ١٩ : ١٠).

ب - وقد قبل المسيح التعبّد من توما أحد الرسل الاثنى عشر...

فنحن نعلم قصة الشك التى سجلها الإنجيل المقدس عن توما حينما اخبره بقية الرسل أنهم رأوا الرب يسوع ، ولم يكن هو معهم . وكيف أنه قال للرسل انه لن يؤمن بأن الرب يسوع قد ظهر ما لم يضع اصبعه فى أثر المسامير، و يضع يديه فى الجنب الذى فتحته الحربة ، ذلك الشك الذى قدم خدمة جليلة للمسيحية ... بعد ذلك أظهر السيد المسيح ذاته لتلاميذه دفعة أخرى وكان معهم توما ... وهنا قال له السيد المسيح « هات أصبعك إلى هنا وابصر يدىَّ ، وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . أجاب توما وقال له ربى وإلهى . قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ١٩ - ٢٩) .

جـ - والسيد المسيح تقبّل الصلاة ، ويتقبّل أرواح العباد ... هكذا صلّت إليه كنيسة الرسل حينما أرادوا أن يختاروا رسولاً آخر خلفاً ليهوذا الاسخر يوطى الخائن . لقد صلوا هكذا قائلين « أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الا ثنين (يوسف ومتياس) أياً اخترته . ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه . ثم القوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس » (أع ١ : ٢٤ - ٢٦) .

والقديس بطرس فى يوم الخمسين اقتبس من نبوءة يوئيل النبى قوله « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » (أع ٢ : ٢١ ؛ يوئيل ٢ : ٣٢) ... والمقصود بكلمة الرب هنا الرب يسوع المسيح أى يصلى إليه . وليس أدل على ذلك من رد بطرس الرسول على سؤالهم « ماذا نصنع أيها الرجال الاخوة » ، قوله « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع

المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع ٢ : ٣٧ ، ٣٨).

واستفانوس شهيد المسيحية الأول بينما كان اليهود يرجمونه بالحجارة كان «يدعو ويقول أيها الرب يسوع أقبل روحى . ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب (يسوع المسيح) لا تقم لهم هذه الخطية» (أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠)... وواضح من سياق الكلام أن عبارة يارب لا تقم لهم هذه الخطية هى معطوفة على الكلام السابق «أيها الرب يسوع اقبل روحى» على انه يجب أن نلاحظ أن صلاة استفانوس وهو يُسلم روحه ، لم تكن وليدة تلك اللحظة ، لكنها كانت امتداداً لصلواته السابقة التى اعتاد أن يرفعها للرب يسوع المسيح ، على نحو ما كانت تفعل الكنيسة كلها .

وفى قصة إيمان شاول الطرسوسى (بولس الرسول) نقرأ عن المسيحيين أنهم كانوا يدعون باسم الرب يسوع ، أى يصلون باسمه . وهكذا قال حنانيا اسقف دمشق واحد السبعين رسولاً للرب يسوع . وهذا ما علّق به كل من سمع بولس يكرز بالمسيح فى دمشق عقب إيمانه (أع ٩ : ١٤ ، ٢١)... وبعد أن التقى حنانيا بشاول قال له «والآن لماذا تتوانى . قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (أع ٢٢ : ١٦) ، أى صلّ للرب يسوع... وبعد فترة كتب بولس رسالة إلى كنيسة كورنثوس ، عنوانها إلى القديسين «مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح فى كل مكان» (١ كو ١ : ٢)... ولا جدال فى أن هذا التعبير

معناه تقديم الصلاة للرب يسوع المسيح...

و يذكر كاتب سفر أعمال الرسل أن القديس بولس الرسول كان يصلى للرب يسوع فى الهيكل بأورشليم (أع ٢٢ : ١٧ - ٢١) ...

و يقول فى رسالته إلى أهل فيلبى « على أنى ارجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس » (فى ٢ : ١٩)... كما يقول فى رسالته إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس **« وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبنى أميناً ، إذ جعلنى للخدمة »** (١ تى ١ : ١٢)... **وكلا التعبيرين يظهران أن الرب يسوع كان هو محور تفكير الرسول بولس ، على نحو ما نقول نحن « إن شاء الله ... واشكر الله »** . إن الرب يسوع هو الإله الذى عبده بولس والذى ظهر له قرب دمشق بينما كان ذاهباً لينكل بالمسيحيين هناك... وواضح من كلام بولس الرسول بخصوص شوكة جسده ، أن صلواته كان يقدمها للرب يسوع ... « ولئلا ارتفع بفرط الاعلانات أُعطيت شوكة فى الجسد... من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى . فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل . فبكل سرور افتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىَّ قوة المسيح . لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح » (٢ كو ١٢ : ٧ - ١٠) .

وثمة نقطة فى غاية الأهمية فيما نحن بصدده ... لم تكن الكنيسة المسيحية على الأرض هى التى تصلى وحدها للمسيح ، بل اشتركت معها فى الصلاة كل خلائق السماء ... وهذا واضح مما أعلن ليوحنا

الرسول فى الرؤيا :

« ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح... فأتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش. ولما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف. ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين. وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة... ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ، وكان عددهم رَبَوات ربوات وألوف ألوف، قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض، وتحت الأرض، وما على البحر، كل ما فيها سمعتها قائلة. للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين. وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين. والشيوخ الأربعة والعشرون خرّوا وسجدوا للحىّ إلى أبد الآبدين » (رؤ ٥ : ٦ - ١٤) ...

فى الكلام السابق يرسم لنا يوحنا صورة ثلاث فئات تقدم العبادة للسيد المسيح « الخروف القائم كأنه مذبوح »... الفئة الأولى : الأربعة حيوانات غير المتجسدة والأربعة والعشرون شيخاً... والفئة الثانية : ربوات ربوات وألوف ألوف من الملائكة... والفئة الثالثة يقول عنها يوحنا « كل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت

الأرض وما على البحر كل ما فيها »... قد يختلف المفسرون فى مدلولات رموز سفر الرؤيا النبوية، لكن لن يختلف اثنان فى مَنْ يكون الخروف المذبوح، وطبيعة العبادة التى تُقدم له ...

وقد سلمت كنيسة الرسل هذه العقيدة إلى الأجيال التالية ... ويشير الآباء الرسوليون -تلاميذ الرسل- فى كتاباتهم إلى عبادة ربنا يسوع المسيح كشىء غير قابل للنقاش. فالقديس أغناطيوس الانطاكى الذى استشهد سنة ١٠٧م كتب إلى مؤمنى رومية قائلاً: [إسألوا المسيح أن يجعل منى ضحية بواسطة هذه الحيوانات] ... والقديس بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول الذى استشهد سنة ١٥٥م يفتتح رسالته إلى أهل فيلبى ببركة هى فى حقيقتها صلاة لربنا يسوع المسيح ... وفى لحظة استشهاده قدم صلاته للمسيح.

ودفاعات المدافعين المسيحيين من القرن الثانى الميلادى تذكر صراحة عبادة المسيحيين للمسيح بعد أن اتهمهم الوثنيون بعبادة آلهة متعددة ...

والليتورچيات القديمة مثل ليتورچية يعقوب الرسول (أخى الرب)، وليتورچية مارمرقس توضح بعبارات واضحة وقاطعة بأن العبادة كانت تقدم للمسيح يسوع ربنا.

ولم تكن العبادة تقدم للمسيح وحسب، بل كان الناس يدعون أنفسهم عبيداً له ... وبولس الرسول يذكر مراراً أنه «عبد يسوع المسيح» ... ويقول لأهل غلاطية «فلو كنت بعد أرضى الناس، لم

أكن عبداً للمسيح » (غلا ١ : ١٠) ... وكل من يؤمن بالمسيح عليه أن ينال سر المعمودية المقدسة على اسمه ... هكذا أعلن بطرس الرسول ذلك فى عظته يوم الخمسين « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح لغفران الخطايا » (أع ٢ : ٣٨) ... وهكذا فإن كل مسيحى حتى الآن لا يصبح مسيحياً إلاَّ إذا اعتمد على اسم يسوع المسيح ربنا ...

المسيح ابن الله

بعد أن انتهينا من اثبات الوهة المسيح من خلال اربع **نقاط رئيسية** كبيرة ، نرى أنه لا بد لنا أن نتوقف لنفهم « **ما معنى أن المسيح ابن الله ؟** » ... لكن قبل البدء فى الكلام عن هذا الموضوع ، نرى لزاماً علينا أن **نتناول فى ايجاز عقيدة الثالوث القدوس فى المسيحية . وكيف يتفق القول بثالوث مع القول بأن الله واحد ، وأن المسيحية ديانة توحيد !!**

يقف الإنسان مندهشاً مذهولاً حينما يرى البعض يرمون المسيحيين بالكفر والشرك ، بينما هم الذين علّموا العالم التوحيد ، و يبدأون عبادتهم و يستفتحون صلواتهم قائلين : « باسم الآب والابن والروح القدس **الإله الواحد** » ... ومع ذلك فالتهمة مازالت معلّقة فوق رؤوس المسيحيين . ليس لأنها تهمة حقيقية ، لكن هكذا شاء أصحاب الاتهام !!.. **والعجيب أن المسيحية لا تؤمن بوحدانية الله فحسب ، بل هى التى علّمت العالم التوحيد ، وأن الله لا يمكن إلاّ أن يكون واحداً !!**

فالمسيحية حينما ظهرت على مسرح الحياة فى العالم ، كان

العالم كله غارقاً فى ضلال الوثنية باستثناء قلة قليلة جداً جداً هم اليهود ... عبد الوثنيون آلهة متعددة وكثيرة جداً . ففى مصر مثلاً كانت هناك آلهة عامة ، وآلهة اقليمية لكل اقليم ، وآلهة لكل مدينة ، بل كانت هناك آلهة للأسرة ... وإذا كنا قد ضربنا مثلاً بالمعبودات المصرية ، فلنعلم أنها كانت أرقى بكثير من غيرها من الديانات والآلهة التى عبدتها الشعوب الوثنية الأخرى فى تلك الأزمنة .

كان على المسيحية أن تواجه الوثنية ، وتواجه هذا التعدد فى الآلهة من ناحية أخرى . ونستطيع أن نقطع أن المسيحية هى أول من حارب الوثنية فى كل صورها ومفاهيمها ومن ضمنها تعدّد الآلهة .

حقيقة أن الديانة اليهودية كانت ديانة توحيدية ، لكن فضلاً عن أن اليهود كثيراً ما تركوا عبادة الإله الواحد وتشبهوا بمن حولهم من الأمم ، لكن الديانة اليهودية لم تكن ديانة كارزة ، بمعنى أن اليهود لم يكونوا مكلفين من قبل الله بتبشير غيرهم من الوثنيين بعبادة الإله الواحد . وعلى ذلك فلم يكن لليهودية نصيب يذكر فى محاربة الوثنية . أما الذين فعلوا ذلك فهم المسيحيون .

كانت مقاومة المسيحية للعبادة الوثنية فى كل صورها

ومفاهيمها كإقامة المعابد والتماثيل وتقديم الضحايا الحيوانية والسكائب ... وكان كل ذلك سبباً هاماً وجوهرياً من أسباب سلسلة الاضطهادات التى حلّت بالكنيسة المسيحية والمسيحيين قرابة ثلاثة قرون من الزمان ...

إن الخطأ الذى يقع فيه من يتهم المسيحيين بالكفر والشِرْك بسبب عقيدة التثليث، أنهم يَفْصلونه عن التوحيد، فيصبح هذا الاعتقاد المسيحى فى نظرهم لوناً من الكفر أو الشرك، أى أن المسيحيين يشركون فى عبادتهم مع الله آخر أو آخرين ... هم يقفون عند قول المسيحيين: « باسم الآب والابن والروح القدس »، ولا يأخذون بتكملة الكلام « الإله الواحد » ...

يؤمن المسيحيون بإله واحد وليس بثلاثة آلهة ... وعلى الرغم من أن وحدانية الله بديهية من البدهيات حتى أن يعقوب الرسول يقول: «أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون» (يع ٢ : ١٩) ... لكن الذين يتهمون المسيحيين بالكفر والشرك، باصرارهم على موقفهم، إنما ينظرون إلى المسيحيين وكأنهم لم يصلوا فى إيمانهم إلى إيمان الشياطين ...!!

ماذا يقول كتاب المسيحيين المقدس عن وحدانية الله ...!

يقول موسى النبى : « اعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل . **ليس سواه** » (تث ٤ : ٣٩) ... و يقول أيضاً : « اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا رب واحد** » (تث ٦ : ٢٤) ... و يقول الرب بلسانه : « **أنا أنا هو وليس إله معى** » (تث ٣٢ : ٣٩) ... و يقول الوحى الإلهى بلسان إشعياء النبى : « **أنا الرب ولا إله غيرى** . إله بار **ومخلّص ليس سواى** » (إش ٤٥ : ٢١) ... هذه الآيات وردت فى كتاب العهد القديم الذى هو جزء من كتاب المسيحيين المقدس .

فإذا اتينا إلى كتاب العهد الجديد (الإنجيل) ، نجد السيد المسيح يقول : « إن أول كل الوصايا ، اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا رب واحد** » (مرقس ١٢ : ٢٩ ؛ تث ٦ : ٢٤) . و يقول : « ليس أحد صالح إلاَّ **واحد وهو الله** » (مت ١٩ : ١٧) ... و يقول بولس الرسول : « **ليس إله آخر إلاَّ واحداً** ... لنا **إله واحد** ، الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له » (١ كو ٨ : ٦) . و يقول كذلك : « أنواع خِدم موجودة **ولكن الله واحد** الذى يعمل الكل فى الكل » (١ كو ١٢ : ٦) .

وفاتحة قانون الإيمان الذى يؤمن به كافة المسيحيين من كل الكنائس والطوائف والمذاهب ، ويتلوه المسيحيون فى صلواتهم الخاصة والعامة يعلن هذه الحقيقة فيقول : «بالحقيقة نؤمن بإله واحد» ...

عقيدة التثليث أمام العقل :

يواجه العقل المسيحى عقيدة الثالوث باعتبارها سراً من أعمق أسرار الوجود . ولا عجب فى ذلك فهى تتناول طبيعة الله وشخصه . والمسيحيون يتقبلون هذه العقيدة كما يتقبلون أى سر آخر من أسرار الحياة والكون ، بمزيج من التأمل والتسليم ، دون محاولة رفضها أو الانتقاص منها ، لمجرد عدم القدرة على فهمها وسَبْر أعماقها !! **إن عقيد التثليث ليست فلسفة عقلية أو نتاج عقول بشرية ، لكنها عقيدة أعلنت بواسطة الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس .**

لماذا نرفض الإيمان بعقيدة التثليث ، وهناك فى الطبيعة أمور لا نفهمها ومع ذلك لا نرفضها ... فنحن لا نرفض مثلاً نظرية الجاذبية الأرضية أو الكهرباء أو تحطيم الذرّة ، أو أى اختراع علمى لمجرد أننا لا نستطيع أن نستوعب مانراه أو نلمسه ... من منا مثلاً يأبى أن يقبل معجزات العلم الحديث كالراديوا والتليفزيون لمجرد أنه

لا يستطيع أن يفهم كيف ينتقل الصوت أو الضوء أو الكهرباء فى الأثير؟! ... فإن كنا نتقبل أسرار الطبيعة برضى ، فلِمَ نرفض الإيمان والتسليم بأسرار الله التى أعلنها لنا ؟!

وفى هذا المجال لا أود أن أثبت عقيدة التثليث من الكتب المقدسة سواء ما يختص منها بالعهد القديم أو بالعهد الجديد ، فالأمر سوف يحتاج منا إلى الخوض فى موضوع كبير نرى أنه ليس موضوعنا الأساسى .

ماهية الثالوث فى الواحد :

ليس هناك ثمة تناقض فى الإيمان المسيحى بين القول بالوحدانية، والقول بالثالوث القدوس . فالله واحد فى جوهره وذاته . ولكن يوجد فى هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم .

فما هو الاقنوم ؟

الأقنوم كلمة سريانية يقابلها فى اللغة اليونانية كلمة « هيبوستاسيس Hypostasis » ومعناها خاصية أو صفة ذاتية فى الله . **فالأقنوم إذن هو صفة أو خاصية ذاتية تقوم بها الذات الإلهية ،**

وبدونها ينعدم قيام الذات الإلهية ... وعلى ذلك ففى الجوهر الإلهى ثلاثة خواص أو صفات ذاتية :

أ ـ خاصية الوجود :

الله موجود ، وواجب الوجود ، وبدونه لا يمكن تفسير الوجود. وإذا لم تكن لله صفة الوجود يكون عدماً. هذه الصفة الذاتية فى الله تسمى « الآب ». والآب فى اللغة السريانية وفى اللغات السامية تعنى الأصل. ولذا يسمى والد الطفل بالأب باعتباره أصل وجوده.

ب ـ خاصية العقل والحكمة :

الله هو العقل الأعظم ، وهو الكلّى الحكمة ، والكلّى العلم ، وهو الخالق لكل العقول فى كل الكائنات العاقلة. ولما كان العقل الإلهى يظهر و يتجلى فى نظام الكون وجمال الطبيعة وفى قوانين الكون ، وهى تنطق بعظمة « العقل الأعظم » وتدل عليه وتتحدث عنه ، لذلك فقد سمّى بعض فلاسفة اليونان نظام العالم وقوانين الطبيعة وجمال الكون باسم « اللوغوس » أو « الكلمة » ، لأنها تجسيد للعقل الأعظم ، لأن العقل الإلهى غير منظور ، لكنه يبدو منظوراً فى نظام العالم وقوانين الطبيعة ...

ولقد استعار الإنجيل المقدس تعبير « الكلمة » أو « اللوغوس » للدلالة على الكيان المنظور للإله غير المنظور. فالكيان المنظور متجسداً فى المسيح هو « الكلمة »، أو العقل الإلهى متجسداً فى « الكلمة » لأن العقل غير منظور، ولكن يصير منظوراً ومتجسداً فى الكلمة.

كانت عقيدة اللوغس هى الفكرة المحورية عند الفلاسفة الرواقيين. واللوغوس فى اعتقادهم هو « العقل الكونى » ... لكن لا ينبغى أن يُفهم من ذلك أن عقيدة اللوغوس فى المسيحية هى مجرد فكرة فلسفية، أو أن أساس العقيدة المسيحية وجد فى الوثنية. لكن كثيراً ما يستعير الإنسان ألفاظاً أو تعبيرات مما هو مستخدم فى اللغة البشرية، ليعبّر به، أو ليقرّب إلى الأذهان ما يود أن ينقله للآخرين...

جـ - خاصية الحياة :

الله حىّ، بل هو مصدر الحياة. وإذا لم يكن الله حيّاً كان ميتاً، وبالتالى ليس له وجود. وخاصية الحياة هذه، هى ما نسميها « الروح القدس ».

ومن ذلك يتبين أن الأقانيم هى صفات فى ذات الله، لا

يقوم كيانه بدونها . وعلى ذلك فالجوهر واحد ، ولكن الصفات الذاتية ثلاثة ، نسميها الآب والابن والروح القدس .

* * *

نعود إلى موضوعنا الخاص ببنوة المسيح لله . ونتساءل بأى معنى نفهم أن المسيح إبن الله ؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل ، نقول إن هناك لُبساً عند بعض الناس بخصوص « ابن الله » . أما السبب فى هذا اللبس فهو ضيق اللغة البشرية ، حينما تريد أن تعبّر عن الإلهيات . وبعض الناس سيطر عليهم التفكير المادى الحسّى فنزلوا فى فهم البنوة إلى مفهوم جسدانى ... **وعلى أية الحالات فيجب أن نلاحظ أمرين اساسيين قبل الخوض فى هذا الموضوع . الأمر الأول أن بنوة المسيح لله تختلف اختلافاً جذرياً وبكل المقاييس عن مفهوم البنوة عند الإنسان والحيوان ... والأمر الثانى وهو يتعلق باللغة البشرية ، فإنها بطبيعتها مادية فى اصولها ونشأتها فضلاً عن انها ضيقة ...**

ولفهم بنوة المسيح لله فهماً سليماً ، علينا أن نضع فى اعتبارنا النقاط الآتية :

١ ـ بنوة المسيح للآب بنوة روحية عقلية ...

أخطأ البعض حينما فهموا أن بنوة المسيح لله الآب كبنوة الإنسان للإنسان. ومعنى ذلك أن الأمر يقتضى الزواج ، و يتطلب الذكر والانثى وشهوة الجنس ... وحاشا لله من ذلك ... والمسيحيون لا يقولون بذلك. **وعندهم أن الله لم يلد ولم يولد كما يلد الإنسان.** و**بنوة المسيح لله هى كولادة النور من النور، وكولادة الفكر من العقل ...** فالشمس تضيء والضوء يصدر عنها و يتولد منها من غير حاجة إلى زواج بين ذكر وأنثى **!!** وكذلك الفكر يتولد من العقل ولادة روحية ذاتية من غير المفهوم الجنسى **!!**

٢ ـ بنوة المسيح للآب ليست بنوة انتسابية :

إن بنوة المسيح ليست بنوة نسبية بمعنى أنها ليست كما جاء عن ابناء شيث أنهم «أبناء الله» (تك ٦ : ١)، وعن الملائكة أنهم «بنو الله» (أى ١ : ٦). أو من قبيل القول عن المصريين أنهم «أبناء النيل» أو «أبناء مصر» أى المتنسبين إلى النيل وإلى مصر. **فبنوة المسيح ليست نسبية وإنما هى بنوة حقيقية، بمعنى أن المسيح من حيث لاهوته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره. وهذا ما يعبّر عنه قانون الإيمان النيقاوى عن المسيح انه «واحد**

مع الآب فى الجوهر». أى أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد. والجوهر الواحد هو الله، لأن الله واحد.

٣ - بنوة المسيح لله الآب بنوة أزلية :

بنوة المسيح لله الآب ليست بنوة زمنية مثل بنوة ابن لأبيه الجسدانى. لأنه فى هذه الحالة يكون الآب سابق فى الزمن على ابنه ... لكن المسيح من حيث لاهوته كائن مع الآب منذ الأزل. ولم يحدث وقت فى الزمان إلاّ وكان الابن مع الآب بغير افتراق. فالمسيح ابن الله بمعنى أنه من طبيعته وجوهره. هو «نور من نور» حسبما يقول الرسول بولس عن المسيح إنه: «ضياء مجده ورسم (صورة) جوهره» (عب ١ : ٣).

وحينما يقول يوحنا فى فاتحة إنجيله عن المسيح كلمة الله: «فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله» (يو ١ : ١، ٢). فإن البدء هنا هو الأزل، على نحو ما يقول ميخا النبى فى نبوءته عن المسيح: «**مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل**» (مى ٥ : ٢) ...

«الله نور» (١ يو ١ : ٥) و«أبو الأنوار» (يع ١ : ١٧) ... والمسيح له المجد هو «نور» الله الآب (يو ١ : ٧؛ ٣ : ١٩؛

٨ : ١٢ ؛ ١٢ : ٣٥ ؛ رؤيا ٢١ : ٢٣) . **وهو النور الحقيقى »** (يو ١ : ٩ ؛ ١ يو ٢ : ٨) ... **فالله الآب نور ، الابن هو نور وهذا ما يعنيه قانون الإيمان بالقول عن المسيح إنه : « نور من نور» .**

والله هو العقل الأعظم ... والسيد المسيح من حيث لاهوته هو عقل الله ، الذى به خلق العالمين (عب ١ : ٢) والذى « **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان** » (يو ١ : ٣) .... لذا سُمى المسيح بالكلمة أو اللوغوس . والكلمة أو اللوغوس هو العقل ظاهراً أو متجسداً « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) ... فليس هناك فارق فى الزمان بين الله الآب والله الابن . لأن الله الابن هو الكلمة أو العقل الالهى متجسداً وظاهراً . **ولو كان الآب اسبق فى الزمان من الابن ، فمعنى ذلك أنه كان فى وقت من الأوقات بغير عقل . وهذا ما لا يمكن تصوره .**

٤ ـ بنوة المسيح لله بنوة غير منفصلة :

بالنسبة للإنسان فإن المولود له كيان منفصل عن أبيه وأمه . فبمجرد ميلاده يصير الولد كائناً آخر غير الأب والأم . وقد صار المولود بميلاده جوهراً ثالثاً حياً بذاته ، بحيث قد تموت الأم وقد يموت الأب بعد ميلاد مولودهما ، ومع ذلك يحيا الولد ، ولا يموت بموت أبويه أو

أحدهما . **لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للمسيح ، لأنه من حيث لاهوته غير منفصل عن الآب ، لأن لاهوته هو عين لاهوت الآب ... والابن يحيا بالآب « أرسلنى الآب الحىّ ، وأنا حىّ بالآب »** (يو ٦ : ٥٧) ، **والآب يحيا بالابن ...** قال المسيح : « أنا هو الحياة » (يو ١٤ : ٦) . وقيل عنه : « فيه كانت الحياة » (يو ١ : ٤) ... إذن فالمسيح الابن من حيث لاهوته لم ينفصل عن الآب ، بل هو كائن مع الآب « هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى . وأنا لست وحدى لأن الآب معى » (يو ١٦ : ٣٢) . وهو « فى حضن الآب » (يو ١ : ١٨) ، « وفى الآب » (يو ١٤ : ١٠ ، ١١ ، ٢٠) ... والآب كائن مع الابن « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) . **فالآب والابن معاً فى الجوهر الإلهى الواحد ، والذات الإلهية الواحدة ، بغير افتراق منذ الأزل وإلى الأبد .**

٥ ـ بنوة المسيح لله بنوة بالطَبْع :

السيد المسيح له المجد من حيث لاهوته هو ابن الله ، بمعنى أنه من طبيعة الله ومن جوهره . فهو ليس شبيهاً به ، وإنما هو من طبيعة ذاته . فالآب والإبن فى ذات إلهية واحدة **وليس ثمة اختلاف بين الآب والابن فى الطبيعة والجوهر والذات .**

نقول هذا الكلام ، لأنه ينبغي أن نفرّق تفريقاً كاملاً بين كون المسيح ابن الله، وبين أن يكون المؤمنون بالمسيح -بعد المعمودية- أولاد الله ... المؤمنون من البشر هم أبناء الله بالانتماء إليه ، لكنهم ليسوا من طبيعته ومن جوهره .

فالإنسان الأول خلقه الله على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) ... فهو على مثال الله وصورته . هو يشبهه لكنه لا يساويه . والروح التي صار بها آدم إنساناً ونفساً حية ، هي نفخة نفخها الله في أنف آدم (تك ٢ : ٧). والنفخة ليست قطعة من جوهر الله ذاته وطبيعته ، لكنها نفخة منه ، وقوة من روحه ، تحمل بعض سماته وصفاته ، لكنها ليست جزءاً من ذاته الإلهية ...

وأولاد الله بالإيمان والمعمودية لم يصيروا أولاد الله بالطبيعة والجوهر، ولكنهم صاروا ينعمون بهذا الامتياز من قبل التبني بالانعام ... إنهم بشر ولم يتحولوا إلى آلهة ... وعلى ذلك فالمؤمنون الذين يدعون **أولاد** الله **أو** أبناء الله هم أبناء بالتبني . على نحو ما يتبنى إنسان ابناً . إنه ليس من صلبه ولا من دمه . ولكن ذلك الإنسان يصبح للابن أباً . ويصبح الابن إبناً لذلك الإنسان لكن بالوضع لا بالطبع ، أي أنه ليس ابنه بالطبيعة ...

وحينما نقول فى قانون الإيمان عن المسيح إنه : « مولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، واحد مع الآب فى الجوهر » ، فإننا نعنى بالولادة الإضاءة والإشعاع بالنور من النور. إنه نور يضىء و يشع من نور الآب ، لكنه ليس مخلوقاً .

٦ ـ بنوة المسيح لله لا نظير لها :

إذا كان السيد المسيح هو ابن الله . وإذا كانت هذه البنوة بنوة روحية عقلية لا جسدانية ، وحقيقية لا نسبية ، وازلية لا زمنية ، ومتصلة لا منفصلة ، و بنوة بالطبع لا بالوضع ... **فإنه يترتب على ذلك أنها بنوة فريدة من نوع خاص ولا نظير لها فى عالم الإنسان أو عالم المادة ... لذا فإنه حسن أن السيد المسيح وصف ذاته بأنه ابن الله الوحيد** (يو ١ : ١٤ ، ١٨ ؛ ٣ : ١٦ ، ١٨ ؛ ١ يو ٤ : ٩) ... ولذلك فإن الكلمة اليونانية المترجمة الوحيد باللغة العربية هى مونوجنيس MONOΓENHC ، أى الوحيد الجنس ، أو الوحيد فى جنسه ...

لماذا دُعى المسيح ابن الله ؟

١ ـ لأنه اصلح تعبير فى لغة البشر يشرح نسبة الكيان الإلهى

الذى ظهر فى شخص يسوع المسيح إلى الكيان الإلهى المعروف سابقاً قبل التجسّد ... وبعبارة أخرى فإن تعبير « الابن » ، هو أوفق تعبير يفهمه الناس بلغتهم لبيان الصلة بين الله غير المنظور، وبين الله وقد صار منظوراً فى المسيح « الله ظهر فى الجسد » ... بين الله الذى فى لاهوته يسكن فى نور لا يُدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (١ تى ٦ : ١٦) ، وبين الله وقد احتجب فى انسانيتنا ، متخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس (فى ٢ : ٧) ... ومع أنه هو الله الكلمة الذى به كان كل شىء ، و بغيره لم يكن شىء مما كان (يو ١ : ٣) ، لكن الكلمة صار (اتخذ) جسداً وحل بيننا (يو ١ : ١٤) ... وصرنا فيه شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤).

٢ ـ ثم أن تعبير الابن هو انسب تعبير فى لغة البشر لبيان الصلة الطبيعية بين الآب والمسيح الابن . فليس هناك كائن آخر أقرب إلى طبيعة الوالد من ولده الذى من صلبه ومن دمه ... يقول المسيح : « مَنْ رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) ... فقد يتعرف إنسان على إنسان آخر لم يره ، لمجرد أنه يعرف ابنه معرفة جيدة . أما وسيلة التعرف فهى التشابه الشديد بين ذلك الابن وابيه .

حقيقة أن هناك فرقاً بين بنوة المسيح للآب وأى تشبيه بشرى ،

لكن ومع ذلك فليس تعبير فى لغة البشر اصلح من تعبير الابن لبيان العلاقة الطبيعية ووحدة الجوهر والطبيعة بين الله الآب غير المنظور وبين الله وقد صار منظوراً فى المسيح ..

كان من الضرورى أن يعرف اليهود وجميع الناس من هو هذا الذى يدعى يسوع المسيح . من هو فى حقيقته ، وما هى نسبته لله الواحد الذى عرفه اليهود بأنه « يهوه » الأزلى الأبدى خالق السموات والأرض ... كان لا بد إذن لكى تزول الحيرة من قلوب الناس أن يكشف المسيح عن حقيقته ، وحقيقة نسبته إلى « يهوه » الله الواحد ، مبيناً أن العلاقة بينه وبين يهوه ليست علاقة إله بإله آخر. كما انه لم يأتِ ليعلن انه وحده الإله من دون « يهوه » إله إسرائيل ... لذا أعلن يسوع المسيح عن ذاته انه ابن الله ، وانه ليس هو إلهاً آخر من دون يهوه ، لكنه الصورة المنظورة لله غير المنظور...

تتبقى كلمة نقولها عن الثالوث القدوس على أساس أن « ابن الله » هو الاقنوم الثانى فى هذا الثالوث ... ليس المسيحيون هم الذين اكتشفوا حقيقة الثالوث القدوس . وليسوا هم الذين نادوا بها من ذواتهم . لكنها حقيقة أعلنت لهم بالوحى فأخذوها عن الوحى وقبلوها بالإيمان . فالمسيح هو الذى قال لتلاميذه : « إذهبوا وتلمذوا

جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) .

حقيقة إن العهد الجديد هو أول موضع فى الكتاب المقدس كُشف فيه عن الثالوث القدوس بوضوح تام، لكن هناك إشارات إلى هذا التعدد فى الذات الإلهية فى كتاب العهد القديم ... فاسم الجلالة « الله » باللغة العبرية هو « الوهيم » ، وهو فى صيغة الجمع . فإن الـ « يم » فى العبرية هى علامة الجمع ... كلمة الله فى اللغة العربية لا تظهر كلمة الوهيم بصغية الجمع ... وفى الوقت الذى كتبت كلمة « الوهيم ـ الله » بصيغة الجمع، تأتى الأفعال والصيفات المستعملة مع هذه الكلمة بصيغة المفرد ...

هذا الاعلان جاء يوم خلقة الإنسان ، وكتب فى أول آية فى الكتاب المقدس « فى البدء خلق الله (الوهيم) السموات والأرض » (تك ١ : ١) . واستخدمت هذه الكلمة يوم سقوط الإنسان . يقول الله : « هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر » (تك ٣ : ٢٢) ... وفى بناء برج بابل قال الله : « هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم » (تك ١١ : ٨) .

لقد ورد اسم الوهيم فى اللغة العبرية (٢٥٥٥) مرة فى العهد

القديم. منها (٢٣١٠) مرة عن الإله الحقيقى، ومعها ورد الفعل والصفة بصيغة المفرد. وورد (٢٤٥) مرة بمعنى الآلهة المتعددة (الأصنام). وجاء معها الفعل والصيغة فى صيغة الجمع.

وربما يقول قائل إن استخدام صيغة الجمع فى لفظ الجلالة (الوهيم) إنما هو نوع من التفخيم الذى يليق بالله، على نحو ما كان يفعل الملوك فى العصور الحديثة. لكن تقليد تلك العصور القديمة لم يستخدم هذا الأسلوب. فالتاريخ وعلماء اللغات يقطعون بأن ملوك تلك الأزمنة لم تكن لهم تلك العادة.

فمثلاً فرعون ملك مصر يتحدث إلى يوسف الصديق ويقول: «وقد جعلتك على كل أرض مصر» (تك ٤١ : ٤١)... وبنوخذنصر ملك بابل العظيم يقول: «أنا بنوخذنصر... قد صدر أمر منى باحضار جميع حكماء بابل قدامى» (دانيال ٤ : ٦). وداريوس ملك مملكة مادى يقول: «أنا داريوس قد أمرت فليُفْعل عاجلاً» (عزرا ٦ : ١٢)... وكما هو واضح أن كلام هؤلاء الملوك العظام هو بلغة المفرد...

وليس هذا هو كل شىء فى العهد القديم خاصاً بالتعدد فى الذات الإلهية، لكن هناك إشارات كثيرة فى الأسفار المقدسة خاصة

فى سفر المزامير وسفر إشعياء (انظر مزمور ١١٠ : ١ ، ٤ ؛ إش ٤٨ : ١٢ - ١٦) .

إن حقيقة الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس حقيقة تتصل بطبيعة الله ذاته التى يعسر علينا كبشر أن نتوصل إلى فهمها وادراكها . لكننا نقبلها بالايمان والإيمان يعيننا على فهمها على نحو ما يقول اغسطينوس : [العقل يسبق الايمان . والإيمان يسبق العقل . وإنى أؤمن لكى أفهم] ... فالإيمان يعيننا على فهم ما لا قدرة لعقولنا على فهمه ...

وعلاقة الآب بالابن ، وعلاقة الابن بالآب فى الثالوث القدوس علاقة أسمى وأعمق من أن تستطيع لغة البشر المادية والقاصرة والضيقة أن تشرحها . لكن كان لا بد أن الله يكلمنا بلغتنا البشرية المادية المحدودة والقاصرة عن أن تعبر عن الطبيعة الإلهية .

ليس الله الظاهر فى الجسد إلاّ بعينه الله غير المنظور ...

وثمة ملاحظة يجب الإشارة إليها وهى كون المسيح هو الاقنوم الثانى ... ليس معنى ذلك أنه أقل من الآب فى الجوهر، ولا لأن الابن متأخر عن الآب فى الزمان على نحو مفهومنا البشرى بأن الأب الجسدى سابق على ابنه فى الزمان .

لكن هذا الترتيب يرتبط بمعرفة البشر لله. فهم يعرفون الله بصفة كونه الآب، قبل أن يعرفوه بصفة كونه «الابن»، ذلك لأن التجسد جاء متأخراً فى الزمان. ونفس المفهوم حينما نقول عن الروح القدس إنه الاقنوم الثالث، فليس ذلك مرتبط بترتيب الأسبقية فى الزمان. ذلك لأن الروح القدس أزلى أبدى، والله نفسه روح كما قال المسيح للسامرية (يو ٤ : ٢٤). إنه هو الحىّ الذى به وعليه يقوم الوجود. إنه الحياة ذاتها وأصل الحياة. إنه الله ذاته...

«آيات عَسِرَة الفهم»

فى رسالته الثانية يشير القديس بطرس إلى رسائل بولس الرسول ويقول إن: «فيها أشياء عسرة الفهم، يُحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم». وبعدها يحذر المؤمنين من الهراطقة الذين يسيئون فهم وتفسير الكتابات المقدسة فيقول: «أيها الأحباء إذ قد سبقتم فعرفتم احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم» (٢ بط ٣ : ١٦، ١٧).

إذن فهناك آيات عسرة الفهم فى الكتاب المقدس لا سيما فى

العهد الجديد ... وإذا كان بطرس وهو معاصر لبولس الرسول قال هذا عن رسائله، فكم وكم يكون الأمر بالنسبة لإنسان أواخر القرن العشرين. على أنه من المفيد قبل أن نعرض لبعض هذه الآيات التى تتعرض للاهوت السيد المسيح، أن نسجّل مبدأين أساسيين ركزّ عليهما البابا أثناسيوس الرسولى واعتمد عليهما آباء الكنيسة ممن أتوا بعده ...

المبدأ الأول : التمييز بين لاهوت السيد المسيح وناسوته. وهو تمييز يعنى بشكل أساسى أن وجود الناسوت متحداً باللاهوت فى ابن الله الكلمة، يتطلب دون شك أن تصف الأسفار المقدسة هذا الناسوت، وان تبرز عمله. والخطأ الذى وقع فيه الاريوسيون ومنكرو لاهوت المسيح من الهراطقة أنهم لم يميّزوا بين لاهوت الابن ووجوده الأزلى ثم مجيئه إلى العالم متجسّداً. الأمر الذى يتطلب أن تتغيّر الأفعال والأوصاف كى تتناسب مع التجسد.

المبدأ الثانى : كان اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص السيد المسيح نوعاً من تحديد صفات بشرية إلهية للمسيح الواحد. وكان من المحتم أن تظهر هذه الصفات فى مناسبات وتختفى فى مناسبات أخرى حسب طبيعة الموقف. ففى التجلى ظهر شىء من مجد اللاهوت دون أن يختفى الناسوت. لكن فى

جثسيمانى ظهرت حقيقة المسيح الإنسانية دون أن يختفى اللاهوت تماماً. وطبعاً هذه المناسبات هى مناسبات خلاص الإنسان واعلان رحمة الله ومحبته. وخطأ منكرى لاهوت المسيح أنهم لم يفهموا مقاصد التجسّد وأنه لخلاص الإنسان واعادته إلى الشركة مع الله.

والآن نعرض لبعض الآيات العسرة الفهم ...

أولاً ـ يقول لوقا الإنجيلى : « وأما يسوع فكان يتقدم (ينمو) فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لوقا ٢ : ٥٢ ـ انظر لوقا ٢ : ٤٠).

السيد المسيح من حيث هو الاقنوم الثانى فى الثالوث القدوس، وكلمة الله الأزلى وحكمته... لم يكن يكتسب شيئاً من الحكمة بالتعليم من مصدر خارج عن ذاته، لأنه لم يكن بحاجة إلى ذلك، فهو « الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً » (١ كو ١ : ٣٠)... والمسيح كما يقول بولس الرسول هو: « قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١ : ٢٤).

لكن فى هذا النص ينحصر الكلام عن مخلصنا على صفاته الناسوتية دون اللاهوتية... فمادام سيدنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً

كاملاً ، واتحد به اتحاداً كاملاً بغير افتراق ، فهذا الناسوت مادام حقيقياً - وليس خيالاً كما نادى بعض الهراطقة - فلا بد أن ينمو ويكبر، ويصير إلى قامة ملء الإنسان ...

هذا من جهة - ومن جهة أخرى فمادام سيدنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً كاملاً من جسد ونفس ناطقة، فالنفس الناطقة بصفتها نفساً إنسانية تنمو هي أيضاً في المعرفة الطبيعية كما تنمو نفس كل إنسان، وتزداد في المعرفة وفي الحكمة الإنسانية بنمو القوى العاقلة وبازدياد الخبرات والمدركات الحسّية التي تنتقل إلى داخل النفس عن طريق الحواس.

ويجب الإشارة هنا إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن السيد المسيح من حيث خصائص طبيعته الناسوتية ومقوماتها وتكوينها وقابليتها لسائر الاحساسات من جوع وعطش وتعب وألم .. إلخ ، ولجميع العواطف والمشاعر والانفعالات من حب وعطف وفرح وحزن وغضب ... إلخ ، فإنه له المجد اشترك في هذا كله معنا بناسوته كاملاً ... وإذا كنا نقول هذا من جهة الإحساسات والعواطف، فالأمر كذلك من حيث العلم الطبيعي. فالسيد المسيح - من حيث ناسوته الكامل - خضع لكل ما يسري على الطبيعة الإنسانية الكاملة خضوعاً

تدبيرياً ...

وحينما يذكر الإنجيل المقدس أن السيد المسيح كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة ، فما ذلك إلاَّ لكى يبيّن أن له نفساً بشرية تتصف بالحكمة وتقتبل النعمة مع تقدم السنّ والقامة وتطور النمو الجسمانى ...

أما من جهة النعمة فإن كانت هى فضل الله مُفاضاً على طبعنا البشرى ، فهى ليست كذلك فى المسيح . **وإنما النعمة فى المسيح هى مجد الله ظاهراً فيه، وفضل الله على الجنس البشرى معلناً فى شخص المسيح وما قام به لأجلنا .**

و يقول القديس أثناسيوس الرسولى ـ أكبر من ناضل ضد الأ ريوسيين الذين أنكروا لاهوت المسيح ـ ان هذا النص إنما يؤكد بشرية ابن الله الكلمة وناسوته ... وقد وضع أثناسيوس هذا النص مع مثيله من نصوص أخرى تؤكد إنسانية المسيح الكاملة ، مثل سؤال المسيح عن مكان دفن لعازر « أين وضعتموه » (يو ١١ : ٣٤) . ومثل سؤاله لتلاميذه فى معجزة إشباع الخمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين « كم رغيفاً عندكم » (مرقس ٦ : ٣٨) ... فإن هذه الأسئلة مثل سؤال الله لآدم « أين أنت » (تك ٣ : ٩) ، فإنها لا

تدل على جهل الله ، بل تعنى ما حدث لآدم .

إن معنى هذه الآية يجب أن يُبنى على أساس ما جاء فى (يو ١ : ١٤) « الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » ... ولأن الكلمة تجسّد ، أصبح من الضرورى ألاّ نظن أن الكلمة الذى هو حكمة الله (١ كو ١ : ٣٠) ، يتقدّم فى الحكمة أو أن المسيح الذى أخذنا نحن جميعاً من ملئه نعمة فوق نعمة (يو ١ : ١٦) ، يحتاج إلى النعمة ...

إذن الذى يتقدم وينمو هو الجسد حسب قوانين الجسد ، لأن التجسّد لم يقضِ على قوانين الحياة الإنسانية ، وإنما تركها كما هى ...

يؤكد القديس أثناسيوس الرسولى أن تقدم القامة فى المسيح كان يعنى تقدم اعلان الوهية الابن . أى تناسب النمو الجسدى مع نمو الاعلان نفسه .

ثانياً - يقول رب المجد يسوع المسيح : « سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب - لأن أبى أعظم منى » (يوحنا ١٤ : ٢٨) .

« **أبى أعظم منى** » ... فى زعم آريوس ـ الذى أنكر الوهية ابن الله ـ أن هذا نص صريح على أن المسيح له المجد، أقل من الآب، وبالتالى فهو مخلوق ... والسبب فى هذه الضلالة الشنيعة التى وقع فيها آريوس، أنه ـ على طريقة الهراطقة ـ عزل جزءاً من نص الآية عن السياق العام. وبهذا أتلف المعنى تماماً ...

سيدنا المسيح له المجد كان فى هذا الحديث يعزى تلاميذه عن مفارقته لهم بالجسد، ويطيّب خواطرهم ويطمئنهم بعبارات مهدئة معزية ... فهو يقول لهم: « سمعتم انى قلت لكم أنا اذهب ثم آتى إليكم. لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون، **لأنى قلت امضى إلى الآب** » وفى مجال التعزية يطلب منهم أن يفرحوا ولا يحزنوا إذا ما فكروا فى الفارق بين ما هو عليه على الأرض من الذل والإهانة والألم لا سيما أحداث الصليب وما تبعها ولازمها ولحقها من آلام واحزان واوجاع كثيرة يكشف عنها قوله: « نفسى حزينة جداً حتى الموت » وبين ما سيكون عليه سيدنا بعد أن يصعد إلى السماء من مجد وكرامة ... هذا الفارق الضخم بين ما كان عليه سيدنا من هوان وما سيصل إليه بالفعل من مجد بعد صعوده، هو نقطة العزاء، التى ركز عليها سيدنا حديثه حتى يهدىء من روع تلاميذه الذين فزعوا لسماعهم عن خبر مفارقته لهم وذهابه عنهم، **حتى أنه قال لهم:**

«لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم» (يوحنا ١٦ : ٦).

وعلى هذا فان قول السيد المسيح : «أبى أعظم منى» إنما يشير إلى الفرق فى عظمة الحال . فالابن اتخذ صورة عبد وصار فى شبه الناس (فى ٢ : ٧) . ففيما هو «صورة الله» الغير المنظور قد أخلى نفسه من «صورة الرب» ، واتخذ «صورة العبد» . ولا شك أن صورة الرب أعظم من صورة العبد .

فالآب ليس أعظم من الابن فى الجوهر ، لأن الآب والابن جوهر واحد ، أو فى جوهر واحد ، وواحد فى الجوهر. لكن الابن وهو على الأرض لابساً صورة العبد فى شبه الناس ، كان فى حال من الكرامة والبهاء والمجد أقل من حال الآب وهو فى كمال البهاء والمجد . فإذا عاد الابن إلى السماء استرد البهاء والمجد الذى كانا له «قبل كون العالم» (يو ١٧ : ٥) .

ثالثاً - قال السيد المسيح لتلاميذه فى حديثه عن انقضاء العالم : «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الابن إلاَّ الآب» (مر ١٣ : ٣٢) .

يستعين منكرو لاهوت المسيح وعلى رأسهم آريوس بهذا النصّ للتدليل على أن الابن ناقص فى معرفته عن الآب وبالتالى فهو مخلوق لعدم مساواته للآب ... ونحن نجيب على ذلك بقولنا إن السيد المسيح يعلم ولا يعلم ... بحسب لاهوته يعلم لكن بحسب ناسوته لا يعلم ... ولقد سبق أن تكلمنا عن السيد المسيح وانه أخذ طبيعة ناسوتية كاملة وجعلها واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. فمن جهة اللاهوت فإن المسيح يعلم بكل شيء حاضراً ومستقبلاً. فلقد كشف للمرأة السامرية ما خفى على الناس. وكان يعرف أفكار تلاميذه وما يفكر فيه الكتبة والفريسيون. وقد اخبر بطرس تلميذه بما كان عتيداً أن يلحقه من ضعف وانكار... وعرف حديث الذين يأخذون ضريبة الدرهمين مع بطرس وأمره أن يذهب إلى البحر ويلقى صنارته والسمكة التى يصطادها أولاً سيجد فيها استاراً يدفع بها الضريبة المطلوبة ... وبعد قيامته علم بإنكار تلميذه توما لهذه القيامة ما لم يضع اصبعه فى أثر المسامير ويضع يده فى جنبه مكان الحربة. فكيف بعد هذا يقال أنه لا يعرف ...

إنه يعلم ويعرف المعرفة التى لا تقال لحكمة ... فالمدرس الذى يضع امتحان نهاية العام حينما يسأله تلاميذه عن جزء من

المقرر الدراسى وهل سيأتى عنه سؤال ، يجيب « لا أعرف » ، بينما هو يعرف لأنه واضع الامتحان ، ولكنها المعرفة التى لا تقال لحكمة . وكذلك الأمر بالنسبة للسياسيين الذين حينما يُسألون عن أمر ينفون عن أنفسهم معرفته ، وما ذلك إلاَّ لحكمة لأنهم لا يريدون أن يبوحوا بسرّ معين .

ثم كيف يُقال إن المسيح ابن الله لا يعرف وقد اخبر تلاميذه قبل هذه الآية مباشرة بعلامات نهاية العالم (حروب وأخبار حروب ، وقيام الأمم والممالك ضد بعضها ، حدوث الزلازل **والمجاعات** والاضطرابات ، وما سيحل بالمؤمنين من اضطهادات) .. إنه كمن يصف طريقاً بكل دقة لآخر وهذا لا يتأتى إلاَّ إذا كان المتكلم يعرف الطريق جيداً ... **ثم كيف لا يعرف وهو « المذخرّ فيه جميع كنوز الحكمة والعلم »** (كو ٢ : ٣) ... **وكيف لا يعلم والأمر يتعلق بالكون الذى خلقه . فلو كان الابن هو الخالق ، فكيف لا يعلم متى ينتهى ما خلق ؟!**

ثم كيف أن الآب وحده يعلم ذلك اليوم وتلك الساعة ، ولا يعلمها الابن وهو القائل : « كل ما للآب هو لى » (يو ١٦ : ١٥) ، « كل ما هو لى فهو لك . وما هو لك فهو لى » (يو ١٧ : ١٠) ... **« الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب »** (يو ١٠ : ١٥) ...

أيهما أيسر أن يعرف الابن الآب تلك المعرفة العيانية التى تكلمنا عنها قبلاً ، أم أن يعرف اليوم والساعة وهو موضوع أقل من معرفة الآب المعرفة العيانية بكثير... قال السيد المسيح : « لا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن ومن أراد الابن أن يُعلَن له » (مت ١١ : ٢٧) .

ثم كيف لا يعلم المسيح الابن ذلك اليوم وتلك الساعة وهو اللوغوس العقل الإلهى المذخرّ فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (كو ٢ : ٣) .

ثم كيف لا يعلم الابن اليوم والساعة وهو الديان الذى سيدين العالم « لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن » (يو ٥ : ٢٢)- [انظر مت ١٦ : ٢٧ ؛ ٢٥ : ٣١- ٤٦ ؛ مر ١٣ : ٢٦ ، ٢٧] ... **وإذا كان هو الديان الذى سيدين العالم فكيف لا يعرف ساعته ؟!**

لكن إن كان السيد المسيح لم يرد أن يفصح عن موعد اليوم والساعة ، فذلك لكى ما يجعل الناس مستعدين على نحو ما اخفى الله عن الإنسان موعد انتقاله من هذا العالم ...

وثمة أمر هام وهو أن المسيح بقوله : « إلاَّ الآب » ، فكأنه ينفى المعرفة عن الروح القدس . وكيف لا يعرف الروح القدس

اليوم والساعة وهو الذى يفحص كل شىء حتى أعماق الله (١ كو ٢ : ١٠) !! إذن لا يمكن أن يجهل الروح القدس اليوم والساعة وفى هذه الحالة يكون أعظم من الابن، بينما الابن يقول عن الروح القدس إنه «يأخذ مما لى ويخبركم» (يو ١٦ : ١٤) .

رابعاً - السيد المسيح له المجد فى ليلة آلامه وفى بستان جثسيمانى «خرَّ على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (مت ٢٦ : ٣٩) .

فى هذه الآية تساؤلان : التساؤل الأول ، لمن كان المسيح يصلى إذا كان هو الله . والتساؤل الثانى ، هل كان للسيد المسيح إرادة أو مشيئة مغايرة لمشيئة الآب حتى انه يقول : لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ؟!

وإجابة عن التساؤل الأول نقول إن السيد المسيح حينما كان يصلى ، كان يصلى كإنسان ، لأنه أخذ إنسانية كاملة . وللإنسانية روح وجسد ، وكما يصلى الإنسان بروحه (١ كو ١٤ : ١٤) ، كان السيد المسيح يصلى بروحه الإنسانية ... ولم تكن هذه

هى المرة الوحيد التى ذكر الإنجيل المقدس أن المسيح صلى ، لكن ذلك ورد فى مواضع كثيرة (انظر لوقا ٣ : ٢١ ؛ ٥ : ١٦ ؛ ٦ : ١٢ ، ١٣ ؛ ٩ : ١٨ ، ٢٨ ؛ ١١ : ١ ، ٢ ؛ متى ١٤ : ٢٣ ؛ مرقس ١ : ٣٥) ... ولم يرد فى جميع النصوص المشار إليها هنا منطوق الصلوات التى صلاها السيد المسيح ، ولا نعرف من أى نوع كانت تلك الصلوات . هل كانت صلوات تأمل أو تمجيد أو تسبيح أو شكر ... **لكنها على أى حال كانت تلك الصلوات « مناجاة » ... لكن الصلاة التى صلاها المسيح فى جثسيمانى كانت صلاة طلب .**

إن السيد المسيح فى جثسيمانى صلى صلاة الطلب لأنه كان فى تدبير الفداء بديلاً عنا ، أى أنه صلى كنائب عن البشرية وشفيع فيها ، وفادٍ لها ...

فيما يختص بصلواته جميعاً التى ذكرت فى الإنجيل ـ فيما عدا صلاته فى جثسيمانى ـ فإنها كانت من قبيل المناجاة بين اقنوم الابن واقنوم الآب داخل الوحدة الثالوثية وذلك بالنظر إلى لاهوته الكائن مع الآب فى جوهر الذات الإلهية . وذلك على مثال المناجاة التى تدور داخل الإنسان بينه و بين نفسه فيقول مثلاً : « أنا قلت لنفسى أو قلت فيما بينى وبين نفسى » ... لأن الابن ـ من حيث لاهوته ليس أقل من الآب فى الجوهر حتى يطلب منه كما

يطلب العبد من الرب ...

وكدليل على الوحدة الجوهرية بين اقنوم الابن واقنوم الآب قول المسيح لتلاميذه: «أنا لست وحدى لأن الآب معى» (يو ١٦ : ٣٢) ... «الذى رآنى فقد رأى الآب ... إنى أنا فى الآب والآب فىَّ ... صدقونى إنى فى الآب والآب فىَّ ... ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله» (يو ١٤ : ٩- ١٤). وقال أيضاً: «أنا والآب واحد» (يو ١٠ : ٣٠)، أى أن الابن والآب قائمان معاً فى جوهر واحد وذات إلهية واحدة.

وللتدليل على أن صلوات المسيح كانت من قبيل المناجاة بين اقنوم الابن واقنوم الآب داخل الوحدة الثالوثية، نذكر ما قاله المسيح وهو ينادى الآب على مسمع من تلاميذه ومن الجماهير المحيطة به «أيها الآب قد أتت الساعة، مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً» (يوحنا ١٧ : ١) «أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء، مجدّت وأمجد أيضاً. فالجمع الذى كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد، وآخرون قالوا قد كلمه ملاك. أجاب يسوع وقال ليس من أجلى صار هذا الصوت بل من أجلكم» (يو ١٢ : ٢٨- ٣٠).

وثمة نقطة أخرى تتصل بموضوع صلاة المسيح ... لقد آتى المسيح كآدم ثانٍ ليصبح رأساً للخليقة الجديدة ... يقول بولس الرسول : « صار آدم الإنسان الأول نفساً حية ، وآدم الأخير روحاً محيياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى الرب من السماء » (١ كو ١٥ : ٤٥ ، ٤٧) ... وإذا كان آدم الأول بزلته دخلت الخطية إلى العالم وحملت معها الموت ، فإن آدم الثانى ربنا يسوع المسيح أتى لخلاص الإنسان وليردّه إلى رتبته الأولى. **وعلى ذلك فإن السيد المسيح بالإضافة إلى ذلك قدّم للبشرية مثلاً للإنسان الكامل ، وهو الذى دعانا لحياة الكمال الإنسانى ، وهكذا يقول القديس بطرس : « فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبّعوا خطواته » (١ بط ٢ : ٢١) ... فالسيد المسيح علم بشخصه وليس بكلامه كما فعل كل المعلمين الذين سبقوه ... ومن ضمن ما أراد السيد المسيح أن يعلمه للبشرية ، الصلاة. لذا فكثيراً ما نقرأ عنه انه كان يصلى ...**

نأتى إلى التساؤل الثانى فى هذه الآية : هل كان للسيد المسيح إرادة أو مشيئة مغايرة لإرادة أو مشيئة الآب ... ورداً على ذلك نقول :

إن كان يبدو من هذه الآية أن هناك مشيئتين ، مشيئة للمسيح له المجد ومشيئة للآب ، لكن الحق أن للمسيح مشيئة واحدة ، وهى عينها مشيئة الآب ... لكن كان لا بد أن يظهر فى عمل الفداء كمال ناسوت المسيح ، وإنه لم يأخذ جسداً خيالياً كما زعم بعض الهراطقة ، لكن كلمة الله اتخذ له جسداً حقيقياً ذا نفس عاقلة ناطقة .

كان من الطبيعى للناسوت الحقيقى فى المسيح أمام هول الآلام ، أن يرفض هذه الآلام ... إن صلاة المسيح فى بستان جثسيمانى تعبّر عن شدة آلامه الحقيقية ، وكأنه يتمنى أن تعبر عنه كأس الألم أو كأس الصليب . لكنه فى نفس الوقت هو يشاء أن يُصلب من أجل خلاص البشر ويموت بديلاً عنهم ، وتعبيراً عن ذلك قال : « الآن نفسى قد اضطربت . وماذا أقول . أيها الآب نجنى من هذه الساعة . ولكن لأجل هذا اتيتُ إلى هذه الساعة » (يو ١٢ : ٢٧) . وقال عن موته : « ليس أحد يأخذها منى بل اضعها أنا من ذاتى . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً » (يو ١٠ : ١٨) ... و يتكلم بولس الرسول عن سروره بالصليب فيقول : « الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) .

فليس هناك فى الواقع مشيئة للمسيح تتعارض مع مشيئة للآب، لكنه تعبير عن الآلام وانها حقيقية لدرجة أن الناسوت لو كان خلواً من اللاهوت لكان يتمنى أن تعبر عنه كأس الصليب. ولكن ومع ذلك فالناسوت أيضاً يحتمل الألم برغبته فى سبيل الرغبة الأسمى وهى خلاص البشر. وهى فى نفس الوقت رغبة اللاهوت والناسوت معاً، وليس بين الاثنين فى الواقع أى تعارض لأن الناسوت ناسوت الكلمة متحداً به بغير افتراق أو انفصال.

خامساً ـ قال السيد المسيح : «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧ : ٣).

الإله الحقيقى هنا هو الإله الذى يعرفه اليهود لأنه أصل الوجود وأب البشر، وأما يسوع المسيح فهو الاقنوم الثانى متجسّداً... والابن والآب هما جوهر واحد ولاهوت واحد، وهما مع الروح القدس ذات إلهية واحدة. ولا فارق بين الاقانيم إلاّ من حيث الاختصاص. والابن هو الذى تجسّد، وإن كان الآب والروح القدس قد اشتركا معه فى عمل التجسد لأنهما معه فى الذات الإلهية الواحدة، وإن كان عمل التجسد

مختصاً بالابن الكلمة.

ولا يظهر مطلقاً من نصّ هذه الآية أن الآب وحده هو الإله الحقيقى، لأن نفس التسمية استخدمت فى موضع آخر للابن. يقول يوحنا الرسول: «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية» (١ يو ٥: ٢٠). ويقول الرسول بولس عن المسيح الابن: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (تى ٢: ١٣)... وواضح أن الله العظيم هنا هو المسيح له المجد، لأنه هو الذى سيأتى فى مجده وليس الآب.

إن مساواة المسيح لله تعنى انه الله ... يقول بولس الرسول عن المسيح إنه لم يحسب مساواته لله اختلاساً «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» (فى ٢: ٦)... وإذا كان الابن مساوياً للآب فكيف نصف الآب بأنه الإله الحقيقى، ولا نعطى نفس التسمية للابن أيضاً؟!!

يقول أثناسيوس الرسولى: [إذا دُعى الآب الإله الحقيقى فهذا لا يعنى إنكار الابن الذى قال «أنا الحق». وإنما عبارة الإله

الحقيقى هى ضد الآلهة الكاذبة التى لا شبه بينها وبين الآب والكلمة. ولذلك السبب اضاف الرب نفسه على الفور «ويسوع المسيح الذى أرسلته». ولو كان الابن مخلوقاً ما كان قد أضاف هذه العبارة، لأنه أى شركة بين الحقيقى (الله)، وغير الحقيقى (المخلوق). ولكن لأنه وضع ذاته بعد الآب مباشرة فقد أعلن بذلك أنه من ذات طبيعة الآب] (مقال ٣ : ٩).

نأتى إلى عبارة «**ويسوع المسيح الذى أرسلته**»... الإرسال هنا ليس معناه الإنفصال، أو أن الابن رسول شأن بقية الرسل، وإنما الإرسال هنا باطنى داخل الوحدة الثالوثية. والإشارة إلى فعل التجسّد الذى تم بتدبير الثالوث القدوس... ونظراً لأن الكلمة أصبح له كيان جسدى ظاهر أمام الناس فى ذلك الزمان، ولا بد أن تفسرّ العلاقة بين الآب الذى يعرفه اليهود وبين الكلمة المتجسّد، فكان لا بد من استخدام هذا التعبير... هذا فضلاً عن أن المسيح دُعى رسولاً لأنه صاحب رسالة أتى من السماء ليُبلّغها و يتممها.

سادساً - «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً» (يو ٥ : ١٩)...

طبعاً هذه العبارة مجردة عما سبقها وما لحقها تصدم الإنسان.

وتلقفّها الهراطقة الذين يقتطعون جزءاً من الآية لكى يدعموا به مكرهم الفاسد .... لكن لو عدنا إلى النص كاملاً لوجدناه كالآتى : بعد أن أبرأ السيد المسيح مريض بيت حسدا حنق اليهود عليه لأنه فعل تلك المعجزة فى يوم سبت . فقال لهم يسوع « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل . فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله . فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاّ ما ينظر الآب يعمل . لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك ... **لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضاً يحيى مَنْ يشاء** » (يو ٥ : ١٧ - ٢١) ...

يتصور الهراطقة تصوراً عقيماً بخصوص هذه العبارة ، لكنها على العكس تدل على المساواة التامة بين الابن والآب ، وانهما جوهر واحد « لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك » وطبعاً هذا الكلام موجهاً لليهود الذين ظنوا الابن (المسيح) إلهاً آخر غير الآب الذى عرفوه فى العهد القديم باسم يهوه .

سابعاً - قال الرب يسوع : « كما أرسلنى الآب **وأنا** حىّ بالآب فمَنْ يأكلنى فهو يحيا بى » (يو ٦ : ٥٧) ...

فهم الهراطقة الذين أنكروا الوهية المسيح من قوله «وأنا حيّ بالآب» أن الإبن يحيا معتمداً على غيره، وهذا يعنى بشكل أساسى أن الابن أقل من الآب !! هذا الفهم الخاطىء يتجاهل عقيدة الثالوث ... لقد أكدّ الآباء أن الابن هو الحياة «أنا هو القيامة والحياة» (يو ١١: ٢٥)، وانه «يحيى مَنْ يشاء» (يو ٥: ٢١)... ولذلك لا يمكن فهم هذه العبارة على أنها خاصة باقنوم الابن وهو فى الأزل، وإنما باقنوم الابن وهو فى الجسد. بمعنى أنه حيّ ومتجسّد حسب إرادة الآب، وإنه سوف يعطى حياته فى الافخارستيا ... خصوصاً وأن هذه العبارة تأتى فى خاتمة كلام الرب يسوع عن الافخارسيتا، ولذا قال كتكملة: «فمَنْ يأكلنى فهو يحيا بى» ... فالكلام هنا عن الافخارستيا، لكى يحيا الذين يأكلون جسده، وهؤلاء سوف يصبحون احياء بالآب كأبناء الله. هذا وقوله: «أنا حيّ بالآب» إنما يشير إلى الوحدة القائمة فى الثالوث القدوس بين الآب والابن والروح القدس.

ثامناً - قال السيد المسيح: **«أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرّام»** (يوحنا ١٥: ١).

الكرمة تعبير هام من العهد القديم يشير إلى شعب الله، وفى العهد الجديد يشير إلى الكنيسة... وهذا واضح من عبارة «أنا الكرمة وأنتم

الأغصان » (يو ١٥ : ٥) .

لكن منكرى لاهوت المسيح وعلى رأسهم الاريوسيون فهموا هذا النص على أنه مقارنة بين الكرمة (الابن) والكرام (الآب) ... والمقارنة تؤدى فى النهاية إلى اعتبار الكرمة نبات والكرام إنسان أى أنهما من جوهر مختلف !!

و يقول القديسان باسيليوس الكبير وكيرلس الاسكندرى أن الابن هو الكرمة ونحن الأغصان. ليس لأننا فروع اللاهوت ، بل نحن كذلك بسبب التجسّد كما قال الرسول : « أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » (١ كو ١٢ : ٢٧) . فالكلام هنا عن الوحدة التى بين المسيح والكنيسة .

يقول الرسول بولس : « رأس كل رجل هو المسيح ... ورأس المسيح هو الله » (١ كو ١١ : ٣) و يقول باسيليوس الكبير ان الإنسان ليس من ذات جوهر الابن (المسيح) أى ليس إلهاً ولكن المسيح من ذات جوهر الآب ولذا قيل إن الله هو رأس المسيح ، ليس بنفس المعنى الذى قيل إن المسيح هو رأس كل رجل ...

وطالما يوجد فرق بين المسيح والإنسان فهذا لا يعنى حتماً انه يوجد فرق بين الابن والآب ، ولذلك فإن استخدام كلمة

كرمة للابن وكرام للآب لا يعنى مطلقاً مقارنة فى الجوهر... الله رأس المسيح كآب، والمسيح رأس الرجل كخالق.

تاسعاً ـ قال السيد المسيح «**لكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (مت ١٢ : ٢٨).

يبدو أن منكرى لاهوت المسيح فهموا أن السيد المسيح لا قدرة له بدون الروح القدس على اخراج الشياطين. لكن هذا خطأ فى الفهم. **والمعنى الذى قصد إليه السيد المسيح له المجد انه يؤكد سلطانه على اخراج الأرواح الشريرة. وفى نفس الوقت أراد أن يؤكد لليهود أنه على الرغم من ذلك ليس هو إلهاً آخراً غير الإله الذى هم يعرفونه ويعبدونه... لذا كان لا بد أن السيد المسيح يبيّن تضامن الاقانيم الثلاثة معاً، لأنها قائمة معاً، وكائنة معاً فى جوهر واحد... ونلاحظ أن هذا النص المقدس يشير إشارة واضحة إلى الاقانيم الثلاثة. فالابن هو المتكلم، والروح القدس هو المشار إليه بروح الله، والآب هو المشار إليه بالله. إن** هذا التعبير يدل على أن عمل اخراج الشياطين، وإن كانت بسلطان المسيح ـ وهو الابن الظاهر فى الجسد ـ لكنه بغير انفصال عن الآب والروح القدس.

عاشراً - « وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله » (مت ١٩ : ١٦ ، ١٧ ؛ لو ١٨ : ١٩) .

السيد المسيح عندما نطق بهذا القول أراد أن يستثير إيمان ذلك الشاب الغنى فى شخصه المبارك باعتباره الإله المتجسّد . حيث أن الله فى حقيقته وجوهره غير منظور ، ولكنه أصبح منظوراً منذ التجسد الإلهى ...

إن الشاب الغنى بدأ حديثه مع السيد المسيح بقوله « أيها المعلم الصالح » . وهو يريد أن يستدرج الشاب إلى الإيمان الحقيقى بشخصه المبارك . فقال له : « لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله » ... وكأنه يقول له : هل كان تلقيبك لى بأنى معلم صالح نوعاً من المديح . أم كان قولك يعبّر عن عقيدة كامنة فى نفسك ... فإذا كان قولك نوعاً من المديح فهو قول خاطىء لأن الصلاح الكامل صفة يتفرد بها الله وحده . وإذا كان قولك عن عقيدة بأننى صالح فهو اقرار منك بأننى هو هذا الواحد الصالح ، أو بعبارة أخرى اننى هو الله الذى يتصف وحده بالصلاح وعلى أية الحالات

فالقول كله فى تعبير سيدنا يسوع المسيح إنما هو إشارة من كثير من إشاراته المقدسة التى أشار بها إلى لاهوته.

حادى عشر - قال السيد المسيح فى مناجاته الوداعية مع الآب: «**والآن مجدّنى أنت أيها الآب عند** ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم» (يو ١٧ : ٥).

يقول منكرو لاهوت المسيح إن الابن طلب من الآب أن يمجدّه. ومعنى ذلك أنه طلب ما ليس له وجود عنده... لكن هؤلاء نسوا قول يوحنا فى إنجيله «والكلمة صار (اتخذ) جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١ : ١٤)... فكيف يكون هذا الكلام حقيقياً إذا كان بلا مجد ؟!... و يقول بولس الرسول: «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١ كو ٢ : ٨)... **وهكذا نرى أن الابن لا يطلب مجداً لم يكن له، أو إضافة مجدٍ له. بل المقصود من كلمات المخلّص هو الإعلان عن مجد تدبير الخلاص.**

ولقد طلب الابن المجد الذى كان له قبل كون العالم... وهذا لا يعنى أنه فقد المجد بالتجسّد لأن هذا يعنى أنه فقد لاهوته وهذا مستحيل. فالمجد لا ينفصل عن اللاهوت. وإنما ما

طلبه الابن هو أن يمجده الآب لكى ترى البشرية أن الذى تجسّد هو هو الذى له ذات مجد الآب ...

ثانى عشر- « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لَمَا شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى (تخليت عنى)» (مت ٢٧ : ٤٦).

عبارة : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » هى مطلع المزمور الثانى والعشرين لداود، وفيه يصف بروح النبوة بالتفصيل أحداث الصليب : ثقب يديه ورجليه ، اقتراعهم على ثيابه وغير ذلك من الأمور التى تجعل الإنسان يحس وكأن النبى كان حاضراً بنفسه أحداث الصليب ...

إن هذه العبارة تثير صعوبتين : الصعوبة الأولى ، كيف يكلم المسيح الله و يناديه بقوله إلهى إلهى ... والصعوبة الثانية هى صعوبة الترك . فهل ترك اللاهوت الناسوت ؟!! وهذا التعبير يستند إليه القائلين بطبيعتين فى المسيح .

أما عن الصعوبة الأولى فلها إجابتان

أولاً - إن المسيح بهذه العبارة يذكرّ اليهود بالمزمور الثانى والعشرين وفيه كل أحداث الصليب . وكأنه يقول لهم ارجعوا إلى

هذا المزمور فتجدوا كل شيء عن صلبي لأنه من الواضح أن داود لم تثقب يداه ورجلاه وغير ذلك مما جاء في هذا المزمور.

ثانياً - إن المسيح له المجد وإن كان هو الله ظاهراً في الجسد، لكنه يمكنه أن يخاطب لاهوت الآب أو اللاهوت المتحد به بقوله إلهي. وهو نفسه قال لمريم المجدلية بعد قيامته «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن إذهبي إلى اخوتي وقولي لهم اني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠ : ١٧). ولو كان المسيح مجرد إنسان لقال لها: «أصعد إلى أبينا وإلهنا». ولكن قوله أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم يظهر بوضوح أن صلته بأبيه غير بقية البشر وكذلك إلهي وإلهكم !! لا مانع من القول إن اللاهوت هو إله الناسوت، وإن كان متحداً به ... فالمسيح من حيث هو إنسان يمكنه أن يخاطب اللاهوت - سواء لاهوت الآب الذي هو لاهوت الابن الذي هو لاهوت الروح القدس - وهو اللاهوت الحال به والمتحد به بقوله إلهي ... لان سيدنا المسيح اتخذ له ناسوتاً كاملاً من جسد ونفس ناطقة وناسوت المسيح ناسوت مخلوق وخالقه هو اللاهوت المتحد به الذي يملأ السماء والأرض ... فإذا خاطب الناسوت اللاهوت يخاطبه إلهي. ولا صعوبة في ذلك لأن الناسوت كامل وله كل الصفات

الناسوتية. والاتحاد بين اللاهوت والناسوت لم يبطل صفات الناسوت أو يُعطّلها.

أما الصعوبة الثانية فنقول فيها إن الترك المشار إليه فى النص ليس تركاً جوهرياً وإنما هو ترك أدبى. وآلام الصليب وقعت على الناسوت طبيعياً، وفى نفس الوقت وقعت على اللاهوت أدبياً... ومعنى العبارة: لماذا تركتنى للألم بينما هو لم يتركه تماماً مثلما يقول طفل يحمله أبوه أمام طبيب يجرى له جراحة بسيطة. فيصرخ الطفل و يقول: يا بابا ليه سايبنى؟ إن الأب لم يتركه بل هو ممسك به ويحتضنه، لكن المعنى أنه تركه للألم... وعلى أية الحالات فإن هذه العبارة تعنى أن الآلام التى احتملها المسيح على الصليب كانت آلاماً حقيقية وشديدة، وليس كما ادعى بعض الهراطقة أن ناسوته كان خيالياً. وان هذا الناسوت بعد اتحاده باللاهوت لازال ناسوتاً كاملاً محتفظاً بكل صفاته.

ولو كان اللاهوت ترك الناسوت فى تلك اللحظة أو فارقه مفارقة جوهرية لكان معنى ذلك أن الفداء لم يتم، وأن الصلب كان صلباً واقعاً على الناسوت وحده. ومن ثم لا يكون للصليب قيمة «كفارية» أبدية كالتى صارت له بالفعل. ولو ترك اللاهوت

الناسوت لكان معنى ذلك أن الذى صُلب من أجل البشر إنسان . وكيف يقول الكتاب المقدس عن دم المسيح انه دم أزلى (عب ٩ : ١٤) ، وانه دم الله كما يقول بولس الرسول لقسوس أفسس أن يهتموا برعاية كنيسة الله التى اقتناها بدمه (أع ٣٠ : ٢٨) فإذا كان الدم الذى سال على الصليب يُوصف بأنه دم الله فكيف يجوز قول ذلك ما لم يكن اللاهوت متحداً بالناسوت وقت الصلب أيضاً !!

ثالث عشر - « ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله » (مرقس ١٦ : ١٩) ...

ليس لله جسم ، كما أنه غير محدود حتى تكون له يمين أو شمال . **واللفظ هنا قد خرج عن معناه الطبيعى إلى معنى مجازى** ... وقد شُبه الله هنا بإنسان له يمين وشمال . وقد وردت فى الكتب المقدسة أمثال لهذه التشبيهات المجازية . ونذكر على سبيل المثال نصاً واحداً وارد فى (إش ٥٩ : ١) « ها ان **يد الرب** لم تقصر عن أن تخلص . ولم تثقل **أذنه** عن أن يسمع ، بل آثامكم **سترت وجهه** » ... هنا نقرأ ذكر يد الله واذنه ووجهه فى نص واحد .

وقول الكتاب المقدس عن السيد المسيح انه جلس عن يمين الآب لا يفهم على معناه الظاهر طالما أن الله روح وغير محدود ،

بل أنه يشير إلى موضع الكرامة والمجد. ومن الأمثلة على ذلك ما قاله المسيح عن نفسه شخصياً فى مجيئه الثانى للديونونة: «متى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميّز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار..» (مت ٢٥ : ٣١ : ٣٣).... **وأما جلوس الابن الاقنوم الثانى عن يمين الآب الاقنوم الأول فإنما يشير إلى المساواة فى الربوبية والسلطان والمجد وسائر الكمالات الإلهية ...**

رابع عشر - يقول سليمان الحكيم بروح النبوة عن المسيح: **«الرب قنانى (اقتنانى) أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسحت، منذ البدء منذ أوائل الأرض.** إذ لم يكن غمرٌ أُبدئتُ إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه. من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئتُ. إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول اعفار المسكونة. لما ثبّت السموات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه الغمر. لما أثبتَ السحبَ من فوقُ لما تشددّت ينابيع الغمر. لما وضع للبحر حدّه فلا تتعدى المياه تخمه لما رسم أسسَ الأرض، كنت عنده صانعاً» (أم ٨ : ٢٢ - ٣٠).

استعان آريوس بهذا النص الذى رأى فيه إشارة إلى ربنا يسوع المسيح، ورأى فيه ما يدل على خلقة الابن ... **لكن الكلام السابق فى هذا الاصحاح يدحض زعم آريوس**. الاصحاح يتكلم عن الحكمة والمقصود الحكمة الأزلية ... الرب اقتنى الحكمة الأزلية لا بمعنى أنه خلقها، ولكن بمعنى أنها كانت منذ الأزل ولا تزال قائمة وكائنة عنده ... وهذا التعبير لا يختلف كثيراً عن تعبير يوحنا فى فاتحة إنجيله: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله» ... والبدء الذى يشير إليه سفر الأمثال هو بعينه البدء الذى يشير إليه انجيل يوحنا والمقصود هو الأزل. وليس أدل على ذلك من أنه بعد ذلك مباشرة يقول الحكيم: «منذ الأزل مُسحت» قبل أن كانت الأرض. والأول المذكر هنا هو الأزل. والأزل ما لا بداية له فى الزمان. ولا يتصف بالأزلية إلاَّ الله فهو وحده الأزلى. **فإذا كانت الحكمة التى يتكلم سفر الأمثال عنها يشار إليها على أنها كائنة عند الله منذ الأزل. فمعنى ذلك أن الابن قائم وكائن مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد.**

يقول منكرو لاهوت المسيح إنه مادام الرب يقول: الرب اقتنانى أول طريقه فمعنى ذلك أن المسيح لم يكن أزلياً لأنه قال «اقتنانى» ... لكن كلمة اقتنانى لا تعنى بالضرورة أن هذا

الاقتناء كان حديثاً، أو كان هناك فارق زمنى بين الله وحكمته ... إن كلمة « اقتنانى » لا تعنى « أوجدنى » . لكن اقتنى بمعنى حاز. حتى انها في الترجمة الكاثوليكية « الرب حازنى » . فكلمة اقتنى إذن تعنى حاز أو ملك أو احرز، وهى الترجمة الحرفية للكلمة باللغة العبرية . هذا اللفظ استخدمته حواء عندما ولدت قايين فقالت : « قد اقتنيت رجلاً من عند الرب » (تك ٤ : ١) وطبعاً واضح أن هذه العبارة لا تعنى أن حواء خلقت قايين ، ولكن بمعنى أنه صار إبنها أى أحرزته وصار ولدها وليس غريباً عنها .

وعندما يقول الرب اقتنانى أول طريقه ، فالمعنى أن الحكمة تقول إن الرب احرزنى من الأول ، منذ الوقت الذى كان فيه الله نفسه إلهاً - اقتنانى من الأول منذ البدء بدون فارق زمنى . وهذا حق لأننا لا نستطيع أن نتصور الله الكلى الحكمة كان فى لحظة من الزمان خالياً من الحكمة !!

إن هذه العبارة لا تزعجنا ولا تشككنا فى أزلية المسيح الإبن لأن القرينة تدل على أنه منذ الأزل والمعنى أن الله حكيم منذ الأزل ... ولتوكيد هذا المعنى يقول : «قبل أعماله منذ القدم »، أى قبل الخليقة لأن الخليقة خلقت بالحكمة ، أى أن

الحكمة قائمة مع الله قبل الخليقة .

« منذ الأزل مُسحت » ... والمسحة تعنى التعيين ، والمسيح

معناه (المعيّن لمهمة معينة) . وحينما كان الملك أو النبي أو

الكاهن يُمسح أى أنه عُيّن من الله لكى يؤدى وظيفته ... والحكمة

هنا تقول : « مُسحت - أى مُسحت من الله أى عُيّنت ، لا [illegible]

ن أحداً عينها ولكن بمعنى أن عمل الفداء ، عمل الخلاص

،عمل الخلق هو من اختصاص الاقنوم الثانى . وليس هناك

غرابة فى اختلاف الاختصاصات فى الأقانيم . فالإنسان مثلاً يفكر

ويتأمل بالعقل ، لكنه يعطف ويحب و يتحنن أو يكره بالقلب ،

والإنسان هو هو بعينه لا ينقسم . لكن للعقل تخصص التفكير والمعرفة

والعلم والقلب له تخصص العاطفة والحب والحنو والرحمة

والكراهية ... إلخ . لكل اقنوم تخصص من دون انقسام فى الذات

الإلهية .

خامس عشر - قال بطرس الرسول فى عظته يوم الخمسين :

« فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى

صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً » (أع ٢ : ٣٦) .

الضلالة التى وقع فيها منكرو لاهوت المسيح وعلى رأسهم

آريوس ، أنهم فهموا من هذا النص أن يسوع المسيح مخلصنا لم يكن رباً ومسيحاً من قبل ، وأن الله هو الذى جعله رباً ومسيحاً ... خطب بطرس فى آلاف اليهود الذين تجمعوا حول علية صهيون فى يوم الخمسين عقب ما صاحب حلول الروح القدس على التلاميذ من ظواهر كصوت هبوب ريح عاصفة . وكان قصد بطرس من بعض فقرات خطابه أن يخجلّ اليهود مبيناً لهم مدى الجريمة التى أرتكبوها فى انكارهم للمسيح المخلص وثورتهم عليه ثم صلبه وقتله ... فيسوع هذا الذى يعرفونه أنه صلب ومات وقبر هو الذى يكرز به بطرس وبقية الرسل . لقد قام من بين الأموات وصعد إلى السموات وأرسل الروح القدس المعزى كما وعد . وعلى هذا فإن يسوع هذا لم تنتهِ قصته بما فعله به اليهود ، وإنما المصلوب هو عينه المبشرّ به انه قام من بين الأموات وأنه هو الذى أرسل الروح القدس على أعضاء الكنيسة الأولى من الرسل والتلاميذ ، وجعلهم قادرين على أن يتكلموا بلغات متنوعة بصورة معجزية اذهلت الجماهير .

فيسوع المسيح الذى عرفوه ليس ضعيفاً وإنما قوى وعظيم . إنه كذلك من حيث لاهوته ، وإن كان قد ظهر فى صورة الضعف من حيث ناسوته ، لكنه ينبغى أن لا يبقى فى اذهانهم فى صورة الضعف التى يعرفونها عنه ، وإنما فى الصورة المجيدة

التى ظهرت بقيامته وصعوده إلى السموات وأرساله الروح القدس المعزى، وصنعه الآيات والعجائب على أيدى الرسل ...

وعبارة « الله جعل يسوع هذا » لا تفيد أن يسوع المسيح له المجد قد تغيّر فى ذاته، وإنما هو شرح لليهود حتى ما تتغيّر الصورة فى أذهانهم ... وكانت نتيجة هذا الكلام أنهم آمنوا ...

سادس عشر - قال بطرس الرسول عن السيد المسيح : **«الذى هو صورة الله غير المنظور بكرُ كل خليقة»** (كو ١ : ١٥) ...

استعان منكرو لاهوت المسيح بالجزء الأخير من هذه الآية « بكر كل خليقة » لتأييد رأيهم الخاطىء أن الابن مخلوق ... **لكن واضح من النص أن القصد هو التأكيد على علاقة الابن بالآب، أو بين الله غير المنظور وبين الله وقد صار منظوراً ... وهذا ما يؤكده إنجيل يوحنا «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبّر».**

أما أن الابن هو بكر كل خليقة ، فالمعنى ان الابن هو رأس الخليقة وسيدها ومبدئها ، لأن الابن خالق كل الأشياء لأن به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان. ولأن به عمل

العالمين . وكلمة البكر تفيد الأول . لأن الله هو الأول ... وقد استخدم هذا التعبير أكثر من مرة بمعنى الأول على الاطلاق وقد استخدم للمسيح فى شرح قيامته هو بكر الراقدين أو باكورة الراقدين (١ كو ١٥ : ٢٠) والبكر من الأموات (رؤ ١ : ٥) . كما وصف بأنه البكر بين أخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩) ... **وواضح أن البكر هنا تفيد الأول ... والأولية هنا هى أولية كرامة لا أولية زمنية ... فالمسيح بكر كل خليقة بمعنى أول كل خليقة ، أى الأول الذى انشأ الخلق ...**

اضف إلى هذا أن القديس أثناسيوس الرسولى يستخدم كلمة « بكر كل خليقة » بمعنى أن الابن هو رأس أو بداية الخليقة الجديدة « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ... لنصير نحن برّ الله فيه » (٢ كو ٥ : ١٧ ، ٢١) .

سابع عشر- يتكلم بولس الرسول فى العبرانيين عن السيد المسيح انه : « **بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى ، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسماً افضل منهم** » (عب ١ : ٣ ، ٤) .

هذا النص مرتبط بفقرة طويلة سبقته يتكلم فيها الرسول

بولس عن مقام السيد المسيح اللاهوتى ومكانته وصفاته التى لا يمكن أن يتصف بها غير الله وحده ... « الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا فى هذه الأ يام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء، الذى به أيضاً عمل العالمين. **الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** ». ومع ذلك فقط اقتطع الهراطقة من منكرى لاهوت المسيح عبارة « **صائراً أعظم من الملائكة** » وفصلوها عما قبلها وما بعدها، وقصدهم من ذلك الوصول إلى غرضهم واثبات أن المسيح ليس هو الله. لكن ما سبق هذه الفقرة يدحض ادعاءهم ... « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، **كلمنا فى هذه الأ يام الأخيرة فى ابنه » ... عندما تكلم المسيح فى الجسد كان الله هو الذى يكلمنا فيه، لأنه هو ذاته صورة الله غير المنظور، وهو ابن الله لأننا رأينا فيه صفات الله غير المنظور وكمالاته. وليست هناك فى لغة البشر كلمة أكثر دلالة على المطابقة التامة مع الآب من كلمة ابن. فالمسيح ابن الله لأن الصفات التى رأيناها فيه أيام جسده هى بعينها صفات الله غير المنظور...**

وبين الصفات والكمالات التى يتصف بها الله غير المنظور، يوصف المسيح أيضاً بأنه الخالق الذى تمم الخلق والعالمين... **ومن**

صفات لاهوت الابن أيضاً المطابقة التامة الجوهرية بين اقنوم الابن الكلمة والجوهر الإلهي. وبذلك وصف الرسول اقنوم الابن بالنسبة إلى اللاهوت بأنه «بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته»... هذه العبارة تدل على تمام المطابقة بين اقنوم الابن وجوهر الثالوث القدوس، لأنه جوهر واحد. وما يتصف به الثالوث يصدق على اقنوم الابن من حيث الصفات والكمالات الإلهية. ومن حيث هو الكلمة المتجسّد فقد صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، لأنه من أجل هذا الغرض قد أتى من السماء. وبعد أن أتم عمل الخلاص وأكمله على الصليب صعد إلى السماء وجلس فى أسمى مكان فى الأعالى وهو ما يعبر عنه الرسول «فى يمين العظمة فى الأعالى»... وطبيعى أنه فى الجسد الذى صعد به صار فى مقام أعظم من مقام الملائكة لأن له إسماً أعظم من إسمهم. فإسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام...

ونكرر هنا ما سبق أن قلناه مراراً أنه يجب التفريق دائماً بين ما يُنسب إلى اللاهوت وما يُنسب إلى الناسوت من صفات، لأن المسيح يملك فى طبيعته صفات اللاهوت والناسوت معاً، من حيث أنه يجمع بين اللاهوت والناسوت فى طبيعة واحدة بغير

اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير رغم أن صفات الناسوت متميزة عن صفات اللاهوت. لكن ما ينسب إلى الناسوت يمكن أن ينسب إلى اللاهوت باعتبار أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت إتحاد تام.

ثامن عشر - قال بولس الرسول عن السيد المسيح : «الذى إذ كان فى صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه إسماً فوق كل إسم، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مَمَنْ فى السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌ لمجد الله الآب» (فى ٢ : ٦ - ١١).

هذه الآيات فى جملتها تبين لنا مقام المسيح الإلهى، فهو معادل لله الآب، مساوٍ له فى الربوبية والمجد والأزلية والأبدية وكل الكمالات الإلهية. وهو التعبير الذى استند إليه آباء مجمع نيقية حينما صاغوا قانون الإيمان ووضعوا ربنا يسوع المسيح أنه نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب فى الجوهر ϩⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ Homoousius أى واحد مع الآب فى الجوهر.

فعلى الرغم من أن الأقانيم الثلاثة متميزة إلاَّ أن كل اقنوم مساوٍ للاقنومين الآخرين فى جميع الكمالات الإلهية. والاقانيم الثلاثة جوهر واحد ... وقول الرسول بولس عن المسيح إنه: «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله»، معنى ذلك أن مساواة المسيح وهو اقنوم الابن واقنوم الآب ليست مغتصبة أى أن المسيح لم يختلس مساواته لله، وإنما هى مساواة طبيعية بين اقنومين فى جوهر واحد وذات إلهية واحدة.

ومعنى أن المسيح «كان فى صورة الله»، اننا رأينا فى المسيح صفات الله غير المنظور، لأنه كما يقول الإنجيل المقدس: «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر» (يو ١: ١٨)... وقول الرسول إنه كان: «فى شبه الناس» لا تعنى أنه اتخذ جسداً خيالياً، بل لقد اتخذ جسداً حقيقياً، وإنما فى شبه الناس من حيث انه وهو فى الجسد لم يكن فى حقيقته مجرد إنسان، وإنما كان فى جوهره الله الكلمة المتجسّد. إن كلمة «شبه» هنا لا تعارض حقيقة الناسوت الذى اتخذه ابن الله. وقد تصرف فى الجسد تصرف إنسان وهو الإله فخضع ناسوته لكل ما يخضع له ناسوت البشر من أحوال ما عدا الخطيئة.

أما قول الرسول : « لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه إسماً فوق كل إسم » فليس معناه أن السيد المسيح كان وضيعاً ثم تطور وصعد إلى المجد كما يقول منكرو لاهوته. لكن هذا التطور لا وجود له من حيث لاهوته ، لأن اللاهوت لا يقبل التغيير أو التطور أو الارتقاء « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يع ١ : ١٧) ... وإنما ما حدث هو أن المسيح ابن الله اتخذ جسداً بشرياً وصار فى شبه الناس ، وصار بديلاً عن الإنسان لإيفاء العدل الإلهى ، ومات ذبيحاً على الصليب ذبيحة كفارية عن البشر جميعاً. وقد قبلت هذه الذبيحة ، وكان فيها الترضية الكافية لعدالة الله وللحكم الذى اصدره الله على الإنسان. ثم قام المسيح من بين الأموات وصعد إلى السموات وجلس فى الأعالى فى أسمى مكان. وهكذا انتقل المسيح له المجد من الأرض التى فيها اهين وصلب ومات إلى السماء فالرفعة التى يشير إليها الرسول : « لذلك رفعه الله » ليست رفعة فى اللاهوت ، وإنما الرفعة هنا بمعنى ارتقاء المسيح من الأرض إلى السماء. كما يُشير هذا الرفع إلى أن ذبيحة المسيح الكفارية الفدائية لخلاص البشر قد قبلت. والسيد المسيح بحق الخلاص الذى قدمه للبشر صار رأس الخليقة الجديدة وتاجها ومخلصها وفاديها وملكاً لملكوت السموات ، فصار إسمه هو الإسم

الذى يطلق على المسيحيين ... لذلك أعطاه الله إسما فوق كل إسم . وهو ما يعبّر عنه بطرس الرسول « ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس إسم آخر تحت السماء قد أُعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) ...

نعود ونقول إنه يجب أن نحترس فى تفسير نصوص الكتب المقدسة بالنسبة للمسيح له المجد ، فنميّز بين النصوص التى تتناول الناسوت والنصوص التى تتناول اللاهوت ومن بين النصوص التى تتناول الناسوت ما أورده بولس الرسول هنا إلى أهل فيلبى .

تاسع عشر - قال القديس بولس الرسول « لا أزال شاكراً لأجلكم ، ذاكراً إياكم فى صلواتى ، كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان فى معرفته » (أف ١ : ١٦ ، ١٧) .

إن الرسول بولس يتكلم هنا عن « ربنا يسوع المسيح » ، أى أنه لا يتكلم عن الابن أو الاقنوم الثانى مجرداً عن الناسوت ، بل عن « يسوع المسيح » الإله المتأنس . فهو إله من حيث لاهوته ، وإنسان من حيث ناسوته ... وإذا كان ربنا يسوع المسيح ذا ناسوتية كاملة ، فبصفته الناسوتية يُعد الله الآب إلهاً له ، وإن

كان بصفته اللاهوتية يُعَد الابن واحداً مع الآب والروح القدس فى الجوهر الإلهى أو الذات الإلهية.

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يتكلم فيها العهد الجديد عن المسيح بهذه الصفة. لقد قال السيد المسيح لمريم المجدلية عقب قيامته المجيدة: « إذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠: ١٧)... ونلاحظ أن السيد المسيح هنا قد فرّق تفرقة واضحة بين علاقته بالآب، وعلاقة التلاميذ بالآب، وإلاَّ لكان يقول: « أبينا وإلهنا » !!

ورب سائل يقول: لكن الرسول لا يقول « إله ناسوت ربنا يسوع المسيح »، بل « إله ربنا يسوع المسيح »... **ونحن نقول إن الكتاب المقدس ينسب ما هو للناسوت ليسوع المسيح أو للرب يسوع، لأن اللاهوت متحد فيه بالناسوت اتحاداً تاماً بغير إنفصال لحظة واحدة أو طرفة عين. وهكذا يجوز أن يقال عن الآب إنه « إله ربنا يسوع المسيح »، إذ أنه إلهه من حيث الناسوت فقط... وبنفس الطريقة نفهم لماذا دعيت العذراء مريم « والدة الإله » مع إنها ليست أصلاً للاهوت، لكن اللاهوت حلّ فى احشائها، واتخذ منها ناسوتاً، ومع ذلك فهى**

تدعى والدة الإله باعتبار الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت، لأن الذى خرج من احشائها عند الولادة إله متأنس وليس مجرد إنسان فقط.

وجدير بالذكر أنه يمكن أن تكون للكائن صفتان دون تعارض. فالجمر مُحرق ومحترق فى نفس الوقت. هو محرق من حيث إنه نار تحرق، ومحترق من حيث المادة كالفحم أو الخشب... هكذا ربنا يسوع المسيح الإله المتأنس... إنه إله من حيث لاهوته لكن من حيث ناسوته له إله، وهذا الإله هو المتحد بالناسوت، وفى نفس الوقت هو الكائن فى السماء...

عشرون - يقول القديس بولس الرسول فى الاصحاح الخامس عشر من رسالته إلى أهل كورنثوس الذى يعالج فيه موضوع قيامة الاجساد «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين. فإنه إذ الموت بإنسان. بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع. ولكن كل واحد فى رتبته. المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح فى مجيئه. وبعد ذلك النهاية، متى سَلّم الملك لله الآب، متى ابطل (بعد أن يكون قد أبطل) كل رياسة وكل سلطان وكل قوة - لأنه يجب أن يملك حتى

يضع (الله) جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يُبطل (يُباد) هو الموت. لأنه اخضع كل شيء تحت قدميه (لأن الله قد اخضع كل شيء تحت قدميه))، ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع (له)، فواضح أنه غير الذى أخضع له الكل (فواضح إن هذا لا يتضمن الله نفسه الذى أخضع كل شيء للمسيح). **ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الإبن نفسه أيضاً سيخضع للذى اَخْضَع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل» (١ كو١٥ : ٢٠-٢٨).**

فى هذا الاصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يركز الرسول بولس حديثه على حقيقة طبيعة السيد المسيح الناسوتية. ثم هو يتكلم عن جسده الممجد القائم من بين الأموات الذى ستكون أجسادنا على مثاله بعد القيامة العامة (فى ٣ : ٢١).

والجزء العَسِرْ الفهم فى هذا النص هو قول الرسول: «ومتى اَخضع له (للمسيح) الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضاً سَيخْضع للذى أخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل»... ووجه الصعوبة هو فى خضوع الابن لله الآب !!

فى نفس هذه الرسالة الأولى إلى كورنثوس، وفى موضع سابق

يقول القديس بولس للكورنثيين المسيحيين : « **لنا إله واحد الآب** الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، **ورب واحد يسوع المسيح** الذى به جميع الأشياء ونحن به » (١ كو ٨ : ٦) ... ويقول لتلميذه الأسقف تيموثاوس : « لأنه يوجد **إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح** ، الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١تى ٢ : ٥ ، ٦) ... **فالكلام ينحصر على حقيقة ناسوتية المسيح** ، وعلى شفاعته الكفارية التى اتمها على الصليب من أجل خلاص العالم « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، **الذى** قدمه الله كفارة بالايمان بدمه » (رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥) ... « يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ١ ، ٢ ؛ ٤ : ١٠) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النص يتحدث عن خضوع سوف يتم فى المستقبل « فحينئذ **الابن نفسه أيضاً سيخضع** للذى أخضعَ **له الكل** » . **ومعنى ذلك أن كلام الرسول هو عن عمل المسيح من أجل خلاص الإنسان وفدائه على الصليب .**

لقد أثبتنا فى كل ما قلناه سابقاً مساواة المسيح لله الآب فى كل الصفات ومنها الأزلية . وهكذا فإن المسيح ابن الله لم يكن

خاضعاً للآب منذ الأزل، بل هو واحد معه فى الجوهر. ولكنه فى التجسد ـ حينما اخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ووضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ـ هنا فقط فى التجسد خضع الابن للآب من أجل عمل الفداء.

والمسيح بتجسده صار هو رأس الإنسانية الجديد أو رأس الخليقة الجديدة ـ صار آدم الثانى «كما فى آدم يموت الجميع، هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع ... صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وآدم الأخير (المسيح) روحاً محيياً ... الإنسان الأول من الأرض ترابى. الإنسان الثانى الرب من السماء. كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً. وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى» (١ كو ١٥ : ٢٢، ٤٥، ٤٧ـ ٤٩). **إن رأس الإنسانية سوف يقدم الإنسانية الجديدة للآب فى آخر الدهور عندما ينتهى كل شيء «متى سلم الملك لله الآب» ... ولأن الآب اخضع للابن ـ آدم الثانى ـ كل شيء لكى يقوم باصلاح كل الأمور ... لذلك بعد أن أتم الابن ذلك بموته الفدائى على الصليب من قبلْ تجسده، فإنه ـ أى الابن يُعيد للآب كل شيء، وذلك بعد أن انتهى دوره تماماً بعد الدينونة ...**

فى ذلك الوقت يصبح الله الكل فى الكل . بمعنى أنه لا يصبح للابن دور مميّز كما كان فى التجسّد .

واحد وعشرون ـ قال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين عن ربنا يسوع المسيح : « **الذى فى أيام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع ، طلبات وتضرعات للقادر أن يخلّصه من الموت وسُمع له من أجل تقواه** . مع كونه إبناً تعلّم الطاعة مما تألم به . وإذ كُمّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » (عب ٥ : ٧ـ ٩) .

الإشارة فى هذا النص المقدس إلى ما حدث فى بستان جثسيمانى حيث جثا مخلصنا على ركبتيه وصار يصلى ، وكان عرقه يتصبب مثل قطرات الدم ، مما يدل على عظم الآلام وشدة الحزن وقسوة الآلام النفسية وعنفها ... فى هذا الموقف قدم المسيح صلاة إلى الآب لكى يجنبه قسوة الآلام وشدتها . وكان هذا ممكناً لأن ناسوته متحدّ بكمال اللاهوت القادر أن يجنبه الألم ... لكنه فى ذلك يتعارض مع إرادته ومشيئته فى قبول موت الصليب . لأنه من أجل هذه الساعة قد أتى من السماء ، أتى خصيصاً لهذا الغرض . على أن هذه الصلاة لم تكن محصورة فى

تجنب الآلام، لكنها كانت أيضاً من أجل طلب قوة الاحتمال. لأن الآلام كانت شديدة جداً وكان يمكن أن تجهز على ناسوت المسيح قبل أن يصلب. ولو كان هذا قد حدث قبل أن يحاكم المسيح ويصلب ويموت على الصليب لما تمّ عمل الفداء وخلاص البشرية. وبذلك تكون خطة الله وتدبيره فى خلاص الإنسان قد فشل... كان لا بد أن يحتمل المسيح آلام الصليب حتى النهاية... والمسيح احتمل ألاماً شديدة جسدية ونفسية وروحية، إلى أن تم صلبه، ونكس رأسه وقال: «قد اكمل».

فى هذا النص الإشارة إلى السيد المسيح من حيث هو بديل عن الإنسان وفادى البشر. وقد أخذ صورة الإنسان. فالإشارة إلى المسيح من حيث ناسوته. وقد أخذ ناسوتاً حقيقياً كاملاً. ولا يعيب سيدنا أن يصلى طالما أنه فى الجسد، بل هو دليل ناسوته الكامل. وليس صراخه ودموعه معناه أن لاهوته قد فارق ناسوته، وإنما معناه أنه لم يَدَعْ للاهوته أن يوقف عمل الناسوت وخصائصه.

وحينما يقول «فسمع له من أجل تقواه»، فإنه يجوز

للرسول أن يصف المسيح بالتقوى وهى من صفات الناسوت . كما جاز له أن يصف المسيح بالطاعة وهى من صفات الناسوت أيضاً. وهو فى هذه الحالة يطيع لاهوته هو، ذلك اللاهوت الذى يملأ السماء والأرض.

وقول الرسول أنه سمع له ، معناه انه استجيب إلى طلبه لئلا تجهز الآلام عليه قبل أن يتم عمل الفداء. وبالفعل طالت حياته الجسدية إلى أن أتم عمل الصليب. وهذا هو معنى قول الرسول : « وإذ كُمّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى ».

الفهرست

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٣٣٩ / ١٩٨٥ م .

ليس هذا كتاب فى لاهوت السيد المسيح ، لكن محتو ياته هى حصيلة سلسلة من العظات القيت فى اجتماعات عامة ، حاولنا فيها أن نقدم لشعبنا - فى أسلوب مبسّط بعيد عن التعقيد - عقيدتنا فى شخص السيد المسيح ...

وعقيدة الوهة المسيح هى العقيدة الأولى فى الديانة المسيحية ، عاشها المسيحيون منذ بدء المسيحية واحتملوا فى سبيلها الأهوال ، وجاهدوا فى سبيل حفظها والزود عنها على مدى عشرين قرناً من الزمان ... انها عقيدة جميع المسيحيين فى العالم رغم تعدد مذاهبهم وطوائفهم .

وستظل هذه العقيدة حية وثابتة مهما هوجمت فوعد المسيح إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وزوال السماء والأرض أيسر من أن يسقط حرف واحد من كلام مخلصنا .

الثمن ٥٠ قرشاً